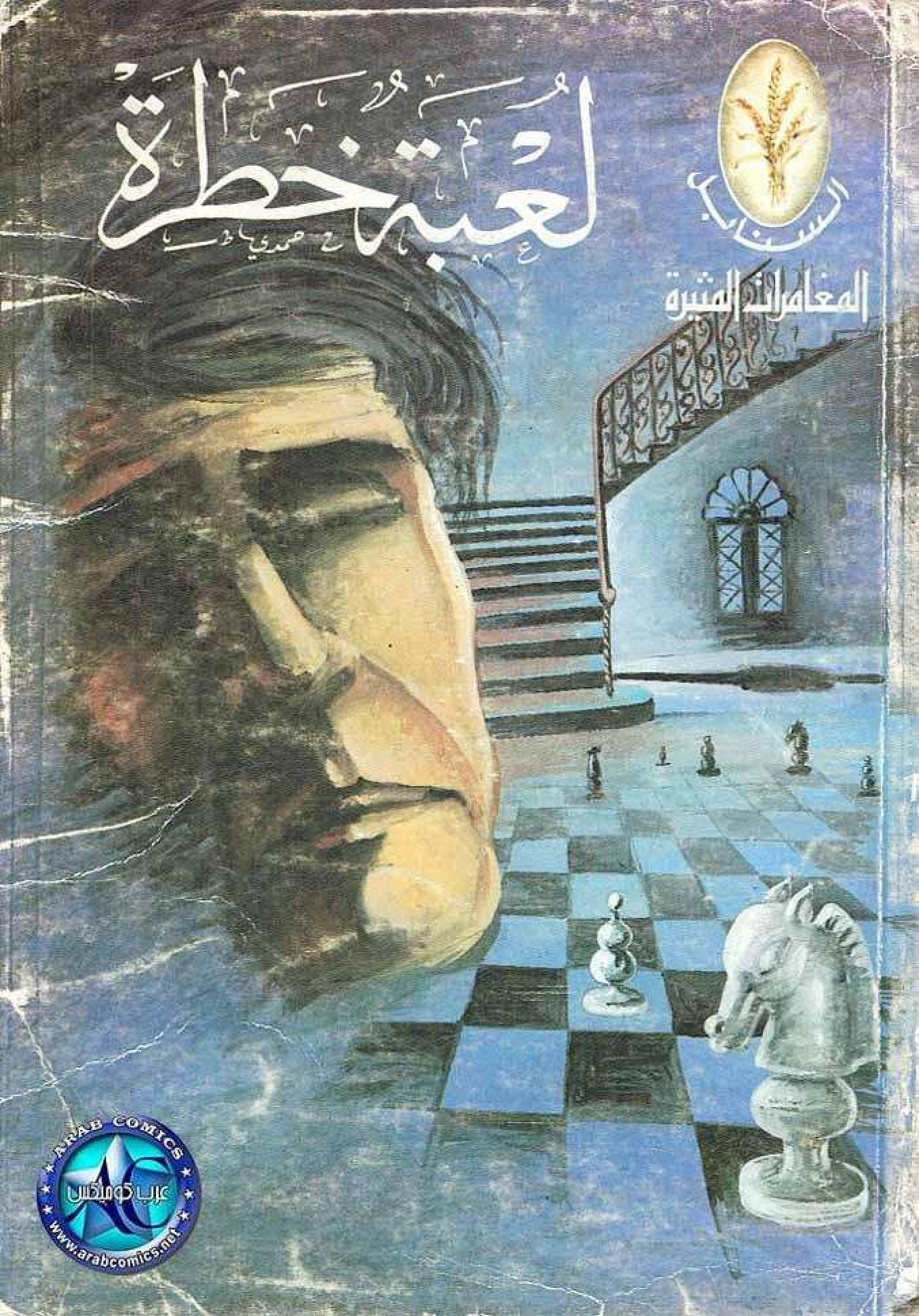
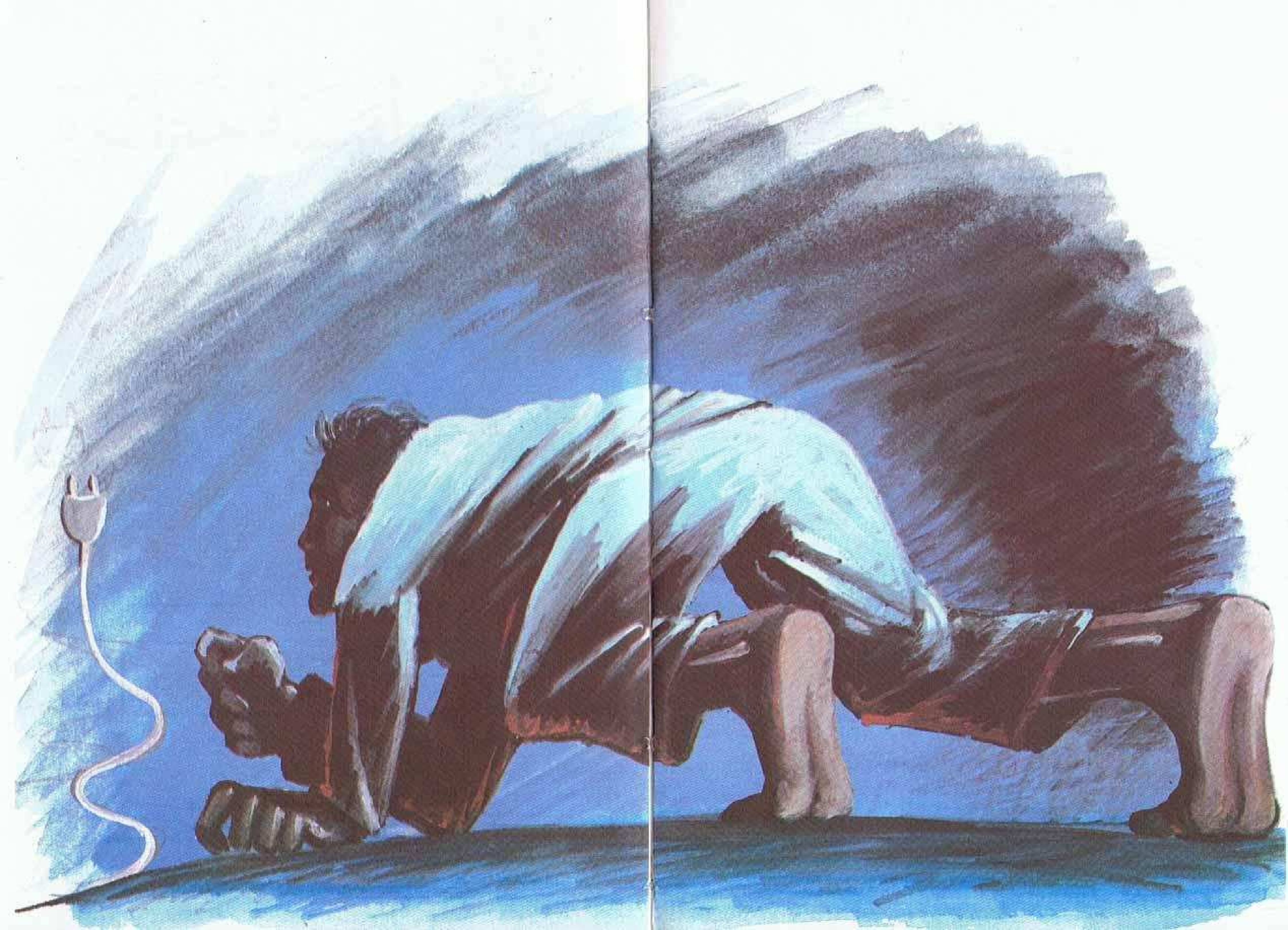

لعبة خطرة
السنابل
المغامرات المثيرة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



السنابل

المغامرات المثيرة

لُعْبَةٌ خَطِرَة



تأليف : وليم هاريس

إعداد : صلاح عبد الخالق

رُسُوم : حَسَن عبد السّتار

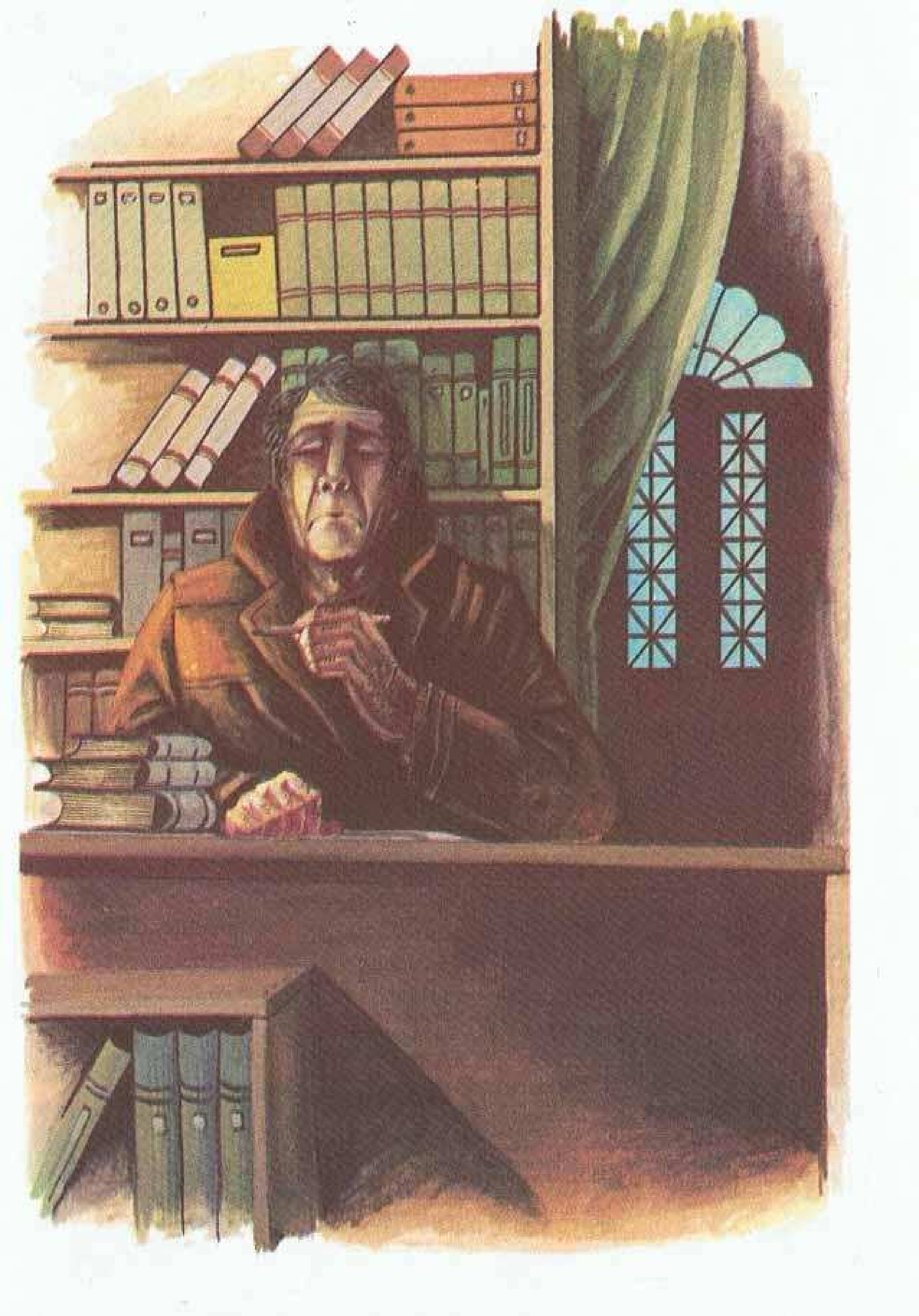
مَكتبة لبنان

بَيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٥ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٣-٧

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ

بادِئَ ذي بَدْءٍ

لَسْتُ أَدْري مَتى بَدَأَتْ هٰذِهِ اللُّعْبةُ ، فَقَدْ مَضى عَلى وَفاةِ زَوْجَتي اثْنا عَشَرَ عامًا ، وَقَدْ بَدَأَتِ اللُّعْبةُ – بِكُلِّ تَأْكيدٍ – بُعَيْدَ وَفاتِها ، غَيْرَ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ تَذَكُّرَ مَتى كانَ ذٰلِكَ . ظَلَلْتُ أَعيشُ في هٰذا ٱلمَنْزِلِ بَعْدَ وَفاةِ زَوْجَتي ، وَمازِلْتُ حَتّى ٱلآنَ أَعيشُ فيهِ . وَهُوَ مَنْزِلٌ كَبيرٌ ، أَعيشُ فيهِ بِمُفْرَدي . وَٱلاِنْتِقالُ إِلى مَنْزِلٍ صَغيرٍ أَمْرٌ هَيِّنٌ ، لٰكِنَّني لا أَشْعُرُ بِأَيَّةِ رَغْبةٍ في تَرْكِ بَيْتي ، فَقَدْ نَشَأَ عِنْدي إِحْساسٌ بِٱلمَحَبَّةِ وَٱلمَوَدَّةِ نَحْوَ كُلِّ شَيْءٍ فيهِ . فَأَنا لَيْسَ لي أَصْدِقاءُ كَثيرونَ ، وَقَدْ أَصْبَحَتِ ٱلأَشْياءُ الَّتي بِٱلمَنْزِلِ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ خاصَّةٍ بِالنِّسْبةِ لي ، وَلا يُمْكِنُني ٱلعَيْشُ بِدونِها .

لَقَدْ عَرَفْتُ – بَعْدَ فَتْرةٍ مِنْ وَفاةِ زَوْجَتي – أَنَّ غُرْفةَ نَوْمي مَسْكونةٌ بِٱلأَشْباحِ ، وَكانَتِ ٱلغُرْفةَ ٱلوَحيدةَ بِٱلمَنْزِلِ الَّتي تَسْكُنُها ٱلأَشْباحُ . فَذاتَ لَيْلةٍ أَحْسَسْتُ – بِٱلمُصادَفةِ – بِوُجودِ شَبَحٍ بِٱلغُرْفةِ ؛ وَلَمْ أَشْعُرْ بِٱلخَوْفِ أَوِ ٱلفَزَعِ ، فَقَدْ كانَ الشَّبَحُ ظَريفًا يَمْلأُ ٱلجَوَّ بِٱلبَهْجةِ . وَكُنْتُ دائِمًا أَشْعُرُ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلضَّحِكِ عِنْدَ ٱلإِحْساسِ بِوُجودِهِ .

قَدْ تَظُنّونَ أَنَّهُ شَبَحُ زَوْجَتي . لا أَدْري ، فَأَنا دائِمًا أُفَكِّرُ في الشَّبَحِ عَلى أَنَّهُ لِرَجُلٍ وَلَيْسَ لِامْرَأَةٍ . وَقَدْ أَطْلَقْتُ عَلَيْهِ اسْمَ بولْدي الَّذي اقْتَبَسْتُهُ

مِنْ اسمِ شَبَحٍ صَخّابٍ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ٱلأساطِيرُ . فَقَدْ كانَ شَبَحًا يُحْدِثُ ضَوْضاءً شَدِيدَةً ، وَكَما تَعلَمونَ أَنَّ الشَّبَحَ الظَّرِيفَ شَبَحٌ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَيَعْمِدُ إلى إسْقاطِ ٱلأَشْياءِ عَلَى ٱلأَرْضِ ، وَإِحْداثِ ضَوْضاءٍ عالِيَةٍ ، وَقَذْفِ ٱلأشياءِ هُنا وَهُناكَ ، بَلْ يَعْمِدُ أَحْيانًا إلى تَحْرِيكِ ٱلفِراشِ وَ ٱلقِيامِ بِبَعْضِ ٱلأَلْعابِ .

كانَ بُولْدي ظَرِيفًا وَمُحِبًّا لِلَّعِبِ ، وَلِذٰلِكَ ٱخْتَرَعْنا لُعْبَةً ظَرِيفَةً ، نَلْعَبُها مَعًا كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَنَحْنُ نَقومُ بِذٰلِكَ مُنْذُ سَنَواتٍ . وَفي ٱلواقِعِ ، عَلَيَّ أَنْ أَلْعَبَ اللُّعْبَةَ دائِمًا قَبْلَ أَنْ أَنامَ ، وَلايُمْكِنُني النَّوْمُ إذا لَمْ أَلْعَبْها .

وَبُولْدي لايَظْهَرُ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، فَهُوَ لَيْس شَبَحًا عادِيًّا ، وَإِنَّما هُوَ دائِمًا في ٱلغُرْفَةِ ، وَلايَظْهَرُ إلاّعِنْدَما نَلْعَبُ اللُّعْبَةَ . وَلَسْتُ مُضْطَرًّا – بِطَبِيعَةِ ٱلحالِ – لِأَنْ أَلْعَبَ هٰذِهِ اللُّعْبَةَ ، لٰكِنَّني دائمًا أُقْبِلُ عَلَيْها بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ ، وَأَعْرِفُ تَمامًا أَنَّ بُولْدي يُشارِكُني هٰذا ٱلإحْساسَ .

إِنَّني أَقومُ ٱلآنَ بِكِتابَةِ هٰذِهِ القِصَّةِ لِأَحْكِيَ لَكُمْ عَنْ هٰذِهِ اللُّعْبَةِ ، الَّتي لايَعْرِفُ أَحَدٌ عَنْها شَيْئًا ، بَلْ إِنَّ أَقْرَبَ أَصْدِقائي(أَوْ بِالأُخْرى صَدِيقِيَ الوحِيدَ) لايَعْرِفُ عَنْها شَيْئًا . أنا وَبُولْدي وَحْدَنا نَعْرِفُ أُصولَها ، وَهِيَ سِرُّنا ٱلكَبِيرُ . لَقَدْ تَكَلَّمْتُ كَثيرًا ، إلاّ أَنَّكَ حينَ تُقيمُ في مَكانٍ ما بِمُفْرَدِكَ ، فَإِنَّكَ كَثيرًا ما تَتَغَلَّبُ عَلى الشُّعورِ بِٱلوَحْدَةِ بِٱلحَديثِ مَعَ نَفْسِكَ !

وَلْنَبْدَإِ ٱلآنَ ٱلقِصَّةَ مِنَ ٱلبِدايَةِ . اِسْمي وِلْيَم هاريس ، وَعُمْري ثَمانِيَةٌ وَأَرْبعون عامًا ، وَلَعَلَّكُم سَمِعْتُمْ عَنّي . لَسْتُ رَجُلًا مَشْهُورًا ، وَلٰكِنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ النّاسِ سَمِعوا عَنّي فِعْلًا . فَأَنا كاتِبٌ ، وَقَدْ أَلَّفْتُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ كِتابًا .

أَنا أَقومُ بِتَأْلِيفِ جَميعِ أَنْواعِ ٱلقِصَصِ : قِصَصِ ٱلحُبِّ ، وَٱلقِصَصِ ٱلبوليسِيَّةِ ، وَقِصَصِ ٱلأَشْباحِ أَيْضًا . وَأَرْجو أَلّا تُسيئوا فَهْمي ، فَقِصَّتُنا ٱليَوْمَ لَيْسَتْ قِصَّةً عادِيَّةً مِنْ قِصَصِ ٱلأَشْباحِ . إِنَّها تَخْتَلِفُ تَمامًا عَنْ أَيِّ قِصَّةٍ كَتَبْتُها . وَالسَّبَبُ في ذٰلِكَ أَنَّها قِصَّةٌ حَقيقِيَّةٌ ، جَميعُ أَحْداثِها واقِعِيَّةٌ ، وَمازالَتْ وَقائِعُها تَحْدُثُ كُلَّ يَوْمٍ !

لَسْتُ كاتِبًا مَشْهورًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ تُحَقِّقُ كُتُبي مَبيعاتٍ طَيِّبَةً ، تُمَكِّنُني مِنَ ٱلإقامَةِ في هٰذا ٱلمَنْزِلِ ٱلجَميلِ ، كَما تُمَكِّنُني مِنْ تَحَمُّلِ نَفَقاتِ ٱلحَياةِ كَما أُريدُها . لَسْتُ غَنِيًّا ، كَما أَنَّني لَسْتُ فَقيرًا . وَأَنا أَحْيا حَياةً بَسيطَةً ؛ لَقَدْ كانَ أُسْلوبي في ٱلحَياةِ دائِمًا بَسيطًا . وَحينَ كانَتْ زَوْجَتي عَلى قَيْدِ ٱلحَياةِ ، لَمْ تَكُنْ حَياتي بِهٰذِهِ ٱلبَساطَةِ ، كُنّا نَخْرُجُ كَثيرًا ، وَكانَ لَنا أَصْدِقاءُ كَثيرونَ . لٰكِنْ بَعْدَ وَفاتِها أَصْبَحْتُ حَبيسَ ٱلمَنْزِلِ ، لا أَخْرُجُ كَثيرًا ، وَأَقْضي كُلَّ وَقْتي في ٱلكِتابَةِ (وَأَقومُ ٱلآنَ بِكِتابَةِ قِصَّةٍ بوليسِيَّةٍ أُخْرى ، فَقُرّائي يُفَضِّلونَ ٱلقِصَصَ ٱلبوليسِيَّةَ ، وَقَدِ ٱبْتَكَرْتُ شَخْصِيَّةَ ٱلمُخْبِرِ السِّرِّيِّ الشَّهيرَةَ فيلْبَرْت وايْلي) . وَقَدْ تَوَقَّفْتُ حالِيًا عَنْ كِتابَةِ قِصَّةٍ

فيلْبَرْت وايْلي الجديدةِ ، وَذٰلِكَ لِلتَّفَرُّغِ لِقِصَّتي هٰذِهِ .

وَيَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِشَيْءٍ عَنْ نَفْسي وَعَنْ زَوْجَتي . فَقَدْ كانَتْ حَياتُنا – حينَذاكَ – مُخْتَلِفةً تَمامًا عَمّا أَنا فيهِ الآنَ . وَكانَتْ زَوْجَتي جولي تَصْغُرُني بِعامَيْنِ ، وَطِباعُها مُخْتَلِفةٌ تَمامًا عَنْ طِباعي : فَهِيَ تُحِبُّ الغِناءَ وَالرَّقْصَ وَالذَّهابَ إلى الحَفَلاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْزِلُنا – في تِلْكَ الأَيّامِ – يَخْلو مِنَ الأَصْدِقاءِ . وَكانَ مِنْ عادَتِها أَنْ تَقولَ لي : « اِذْهَبْ وَارْتَدِ حُلَّتَكَ ياوِلْيَم ! » وَأَنا لا أُحِبُّ ارْتِداءَ الحُلَلِ . كانَتْ عِبارَتُها تِلْكَ تَعْني أَشْياءَ كَثيرةً : الاِسْتِعْدادَ لِلْقِيامِ بِزِيارةٍ ما ، أَوِ اسْتِقْبالَ بَعْضِ الأَصْدِقاءِ لِتَناوُلِ الطَّعامِ ، أَوْ الاِسْتِعْدادَ لِحَفْلةٍ نُقيمُها في مَنْزِلِنا . حَياتي مَعَها مَليئةٌ بِالمُفاجآتِ ، فَمَعَ جولي كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ ! بِاخْتِصارٍ .. كانَتْ حَياتي بَيْنَ يَدَيْ جولي ، تَفْعَلُ بِها ماتَشاءُ ، وَبِدونِها كُنْتُ لاشَيْءَ ! كُنْتُ أُفَضِّلُ الاِبْتِعادَ وَالاِنْعِزالَ عَنِ العالَمِ ، فَإِذا بِها تَنْقُلُ العالَمَ إلى بَيْتي !



كانَتْ حَياةً رائعةً ، لِأَنَّ جولي جَعَلَتْها كَذٰلِكَ . وَكُنْتُ مَوْضِعَ غَيْرةِ أَصْدِقائي ، فَكانوا يَتَهامَسونَ : « يالَحَظِّ وِلْيَم ! أَسْعَدَهُ الحَظُّ بِزَوْجةٍ رائعةٍ حَقًّا ، بِالرَّغْمِ مِنْ طِباعِهِما المُخْتَلِفةِ .. وِلْيَم هادِئُ الطَّبْعِ ، غَيْرُ جَذّابٍ ، بَيْنَما جولي تَمْتَلِئ حَيَوِيَّةً وَنَشاطًا . »

نَعَمْ ، كانوا يَحْسُدونَني عَلى جولي ! كُنّا سُعَداءَ ، وَكانَ مَصْدَرُ هٰذِهِ السَّعادةِ مايَحْمِلُهُ كُلٌّ مِنّا لِلْآخَرِ مِنْ حُبٍّ .

وَفَجْأَةً وَقَعَتْ جولي فَريسةً لِلْمَرَضِ ، الَّذي سَرْعانَ ما اشْتَدَّ بِها . وَلَجَأْتُ لِكِبارِ الأَطِبّاءِ لٰكِنَّهُمْ أَخْفَقوا جَميعًا في عِلاجِها . وَكُنْتُ أُلازِمُها وَأُعْنى بِها لَيْلًا وَنَهارًا ، لٰكِنَّها فارَقَتِ الحَياةَ بَعْدَ فَتْرةٍ لَمْ تَتَجاوَزِ الشَّهْرَيْنِ .

رَحَلَتْ جولي ! لاأَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ ، بَلْ إِنَّني مازِلْتُ – بَعْدَ كُلِّ هٰذِهِ السَّنَواتِ – لاأَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ . رَحَلَتْ جولي وَرَحَلَ مَعَها جُزْءٌ مِنّي . إِنَّها تَعيشُ الآنَ في ذاكِرَتي ، وَلا أَسْتَطيعُ نِسْيانَها ، وَلَنْ أَنْساها أَبَدَ الدَّهْرِ .

وَلَمْ أُرِدِ الزَّواجَ مَرَّةً أُخرى . عِنْدَما ماتَتْ جولي كانَ قَدْ مَرَّ عَلى زَواجِنا اثْنا عَشَرَ عامًا ، وَها قَدْ مَرَّ عَلى وَفاتِها اثْنا عَشَرَ عامًا . وَلَمْ يَرْزُقْنا اللهُ بِأَطْفالٍ ؛ لِذٰلِكَ عِنْدَما ماتَتْ تَرَكَتْني وَحيدًا ، حَبيسَ جُدْرانِ هٰذا

ٱلمَنْزِلِ . وَأَغْرَقْتُ نَفسي في ٱلعَمَلِ ، مُحاوِلًا – في ٱلبِدايةِ – أَنْ أَبْتَعِدَ عَنِ ٱلتَّفْكيرِ فيها . وَكانَ ٱلأَلَمُ يَعْتَصِرُني أَوَّلَ ٱلأَمْرِ .. وَمَعَ مُرورِ ٱلزَّمَنِ تَحَسَّنَتِ ٱلأُمورُ قليلًا ، بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ زَوالِ ٱلأَلَمِ تمامًا ، إلّا أَنَّني حينَ أُفَكِّرُ في جولي أُحِسُّ أَنَّها لَمْ تَمُتْ ، بَلْ مازالَتْ حَيَّةً في ذاكِرَتي وَفِكْري .

بِطَبيعةِ ٱلحالِ فَقَدْتُ مُعْظَمَ أَصْدِقائي .. هٰؤُلاءِ ٱلأَصْدِقاءِ ٱلحاقِدينَ ٱلَّذينَ كانوا يَميلونَ لِجولي ، وَلايَحْمِلونَ لي كَثيرًا مِنَ ٱلوُدِّ . وَٱلآنَ وَقَدْ أَصْبَحَ ٱلبَيْتُ خالِيًا مِنْ جولي لَمْ أَعُدْ أَتْرُكُهُ ، وَلَمْ أَعُدْ أَذْهَبُ إلى ٱلحَفَلاتِ أَوْ أَدْعو ٱلأَصْدِقاءَ إلى مَنْزِلي . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى تَخَلّى عَنّي جَميعُ ٱلأَصْدِقاءِ ، فَلَمْ يَكونُوا يَرْغَبونَ في قَضاءِ أَوْقاتِهِمْ مَعَ شَخْصٍ مُمِلٍّ مِثْلي . لَمْ يَعُدْ هُناكَ مَنْ يَغارُ مِنّي ٱلآنَ ، وَلَمْ أَعُدْ وِلْيَم سَعيدَ ٱلحَظِّ ، بَلْ أَصْبَحْتُ مُجَرَّدَ وِلْيَم ٱلمِسْكينِ .

لَيْسَ لي ٱلآنَ غَيْرُ صَديقٍ مُخْلِصٍ واحِدٍ ، يُدْعى لِويس ، يَعْمَلُ بالتَّأْليفِ أَيْضًا ، إلّا أَنَّني أَجْهَلُ – تمامًا – ٱلكُتُبَ ٱلتي أَلَّفَها ، وَلَمْ أَقْرَأْ أَيًّا مِنْها ، وَلَمْ تَقَعْ عَيْنايَ – في ٱلواقِعِ – عَلى أَيِّ كُتُبٍ لَهُ في ٱلمَكْتَباتِ .

عِنْدَما نَلْتَقي – أَنا وَلِويس – لانَتَحَدَّثُ أَبَدًا عَنِ ٱلكُتُبِ ، ذٰلِكَ لِأَنَّ لَدَيْنا اهْتِمامًا آخَرَ .. فَكُلٌّ مِنّا يَهْوى لُعْبَةَ ٱلشِّطْرَنْجِ ، وَنَتَقابَلُ مَرَّةً في

ٱلأُسْبوعِ حَوْلَ رُقْعَةِ ٱلشِّطْرَنْجِ .

يَزورُني لِويس كُلَّ يَوْمِ أَرْبِعاءَ ، وَيَصِلُ دائِمًا في ٱلسّاعةِ ٱلثّامِنةِ مَساءً ، فَنَظَلُّ نَلْعَبُ ٱلشِّطْرَنْجَ لِمُدَّةِ ثَلاثِ ساعاتٍ تَقْريبًا .

نَلْعَبُ أَحْيانًا عِدَّةَ مُبارَياتٍ ، وَأَحْيانًا نَكْتَفي بمباراةٍ واحِدةٍ فَقَطْ ، وَفي حَوالى ٱلحادِيةَ عَشْرَةَ يَعودُ لِويس إلى مَنْزِلِهِ ، وَأَتَوَجَّهُ أَنا إلى حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ لِأَلْعَبَ لُعْبةً مُخْتَلِفةً مَعَ بُولْدي . سَأَحْكي لَكُمْ عَنْها فيما بَعْدُ .

إنَّ لِويس – في ٱلواقِعِ – صَديقٌ مُخْلِصٌ جدًّا ، نَلْعَبُ ٱلشِّطْرَنْجَ مَعًا ، وَلانَتَحَدَّثُ كَثيرًا عادةً ، بَلْ أَحْيانًا لانَتَكَلَّمُ كَلِمةً واحِدةً طَوالَ ٱلمَساءِ ، فَٱلأَصْدِقاءُ ٱلمُخْلِصونَ لَيْسوا في حاجةٍ إلى ٱلكَلامِ .

لَعَلَّكَ تُدْرِكُ ٱلآنَ أَنَّ لِويس يَعْرِفُني تَمامَ ٱلمَعْرِفةِ ، وَأَنَّني أَعْرِفُهُ تَمامَ ٱلمَعْرِفةِ ، فَقَدْ كُنّا أَصْدِقاءَ مُنْذُ كُنّا طُلّابًا . كانَ لِويس صَديقي قَبْلَ أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلى جولي ، وَهُوَ يَعْرِفُ ٱلكَثيرَ عَنّي ، إلّا أَنَّ هُناكَ بَعْضَ ٱلأَشْياءِ لايَعْرِفُها عَنّي .. وَأَنا عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُ سَيَدْهَشُ عِنْدَ قِراءَتِهِ لِهٰذِهِ ٱلقِصَّةِ .

كُنّا – أَنا وَلِويس – نَلْعَبُ ٱلشِّطْرَنْجَ مَعًا لِسَنَواتٍ طَويلةٍ ، وَاعْتادَ أَنْ يَحْضُرَ إلى مَنْزِلي أَثْناءَ حَياةِ جولي . وَلَمْ نَكُنْ – أَنا وَجولي – نَحْضُرُ – إطْلاقًا – أَيَّةَ حَفَلاتٍ يَوْمَ ٱلأَرْبِعاءِ ، فَيَوْمُ ٱلأَرْبِعاءِ كانَ – دائِمًا – يَوْمي ٱلمُخَصَّصَ .

يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ أَنَّ لِويس سَيَكونُ هُنا غَدًا ، وَنَحْنُ آلآنَ في صَباحِ يَوْمِ الثُّلاثاءِ . إِنَّني أَجْلِسُ إلى مَكْتَبي في حُجْرَةِ آلمَكْتَبِ ، مُنْهَمِكًا في كِتابَةِ هٰذِهِ آلقِصَّةِ ،وَشَمْسُ الشِّتاءِ تَتَلَمَّسُ طَريقَها عَبْرَ نافِذَةِ حُجْرَةِ مَكْتَبي . وَهُوَ يَوْمٌ جَميلٌ إلّا أَنَّني لا أَميلُ لِلْخُروجِ إطْلاقًا في هٰذِهِ آلأَيّامِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ فيلْبِرْت وايْلي رَفيقِي آلوَحيدَ .

أَشْعُرُ – في هٰذِهِ آللَّحْظَةِ – بِتَعَبٍ شَديدٍ ، وبِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، لِأَنَّني لَمْ أَنَمْ جَيِّدًا اللَّيْلَةَ آلماضِيَةَ ، فَقَدْ قَضَيْتُها في اللَّعِبِ مَعَ بولْدي ، وَاسْتَمَرَّتِ اللُّعْبَةُ وَقْتًا طَويلًا .. سَأَحْكي لَكُمْ عَنْها ، وَلٰكِنْ لَيْسَ آلآنَ.

هٰذِهِ هِيَ حَياتي . حَياةٌ بَسيطَةٌ لِلْغايَةِ ، لَيْسَ فيها مايُثيرُ الِانْتِباهَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ كَيْفَ تَكونُ آلحَياةُ مُمْتِعَةً بِدونِ وُجودِ جولي ؟ فَما أَنا آلآنَ إلّا كاتِبٌ في وَسَطِ آلعُمْرِ ، يَعيشُ وَحيدًا في مَنْزِلٍ كَبيرٍ ، لَمْ يَبْقَ لَهُ في هٰذِهِ الدُّنْيا غَيْرُ صَديقٍ مُخْلِصٍ واحِدٍ . لَدَيَّ كُتُبي ، وَلَدَيَّ فيلْبِرْت وايْلي – آلمُخْبِرُ السِّرِّيُّ الشَّهيرُ – وَمِنَ آلمُحْتَمَلِ أَنَّني أَعيشُ حَياتي مِنْ خِلالِ فيلْبِرْت ، وَلَدَيَّ الشِّطْرَنْجُ وَآلكَثيرُ مِنَ الذِّكْرَياتِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَهِيَ لَيْسَتْ حَياةً حَزينَةً ، كَما أَنَّها لَيْسَتْ هادِئَةً تَمامًا ، فَكَثيرٌ مِنَ آلأَشْياءِ تَحْدُثُ في هٰذا آلمَنْزِلِ .. فَهُناكَ كَثيرٌ مِنَ الضَّجيجِ وَالضَّحِكِ وَ .. وَآلفَضْلُ في كُلِّ ذٰلِكَ يَرْجِعُ إلى بولْدي الَّذي لَمْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ شَيْئًا بَعْدُ . وَيَبْدو أَنَّ

بولْدي وَالضَّحِكَ شَيْئانِ مُتَلازِمانِ – أَعْني أَنَّهُما عادَةً ما يَكونانِ مُتَلازِمَيْنِ .

لاأَعْرِفُ مَتى بَدَأَتِ اللُّعْبَةُ . لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَذْكُرَ في أَيِّ وَقْتٍ كانَتْ مُقابَلَتي آلأُولى مَعَ بولْدي ، إلّا أَنَّني أَذْكُرُ تَمامًا كَيْفَ تَمَّتْ هٰذِهِ آلمُقابَلَةُ . أَذْكُرُ اللَّحْظَةَ آلأُولى الَّتي ظَهَرَ فيها ، أَعْني اللَّحْظَةَ الَّتي أَدْرَكْتُ أَنَّهُ في حُجْرَةِ نَوْمي ، بَلْ إنَّني لَأَذْكُرُ كُلَّ تَفْصيلاتِها ؛ وَلِذٰلِكَ أَوَدُّ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ عَنْها بِالتَّفْصيلِ . إلّا أَنَّهُ لابُدَّ لي – أَوَّلًا – أَنْ أُخبِرَكُمْ أَنَّ حُجْرَةَ نَوْمي لَمْ تَكُنْ مَسْكونَةً بِآلأَشْباحِ في حَياةِ جولي ، وَرُبَّما كانَتْ كَذٰلِكَ وَلٰكِنْ لَمْ أَكُنْ أُدْرِكُ آلأَمْرَ ، وَلَنْ أَعْرِفَ آلحَقيقَةَ أَبَدًا .

هَلْ تَعْتَقِدونَ في وَجودِ آلأَشْباحِ ؟ حَقيقَةً كَتَبْتُ عَدَدًا مِنْ قِصَصِ آلأَشْباحِ ، إلّا أَنَّها لَمْ تَتَعَدَّ كَوْنَها مُجَرَّدَ قِصَصٍ . وَلَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ في وُجودِ آلأَشْباحِ ، وَمازِلْتُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ مِنْ وُجودِها، إلّا أَنَّني عَلى يَقينٍ مِنْ أَمْرٍ واحِدٍ ، وَهُوَ أَنَّ في حُجْرَةِ نَوْمي شَبَحًا كَثيرَ الضَّوْضاءِ وَلَنْ أُضيفَ شَيْئًا آخَرَ إلى هٰذِهِ آلحَقيقَةِ .

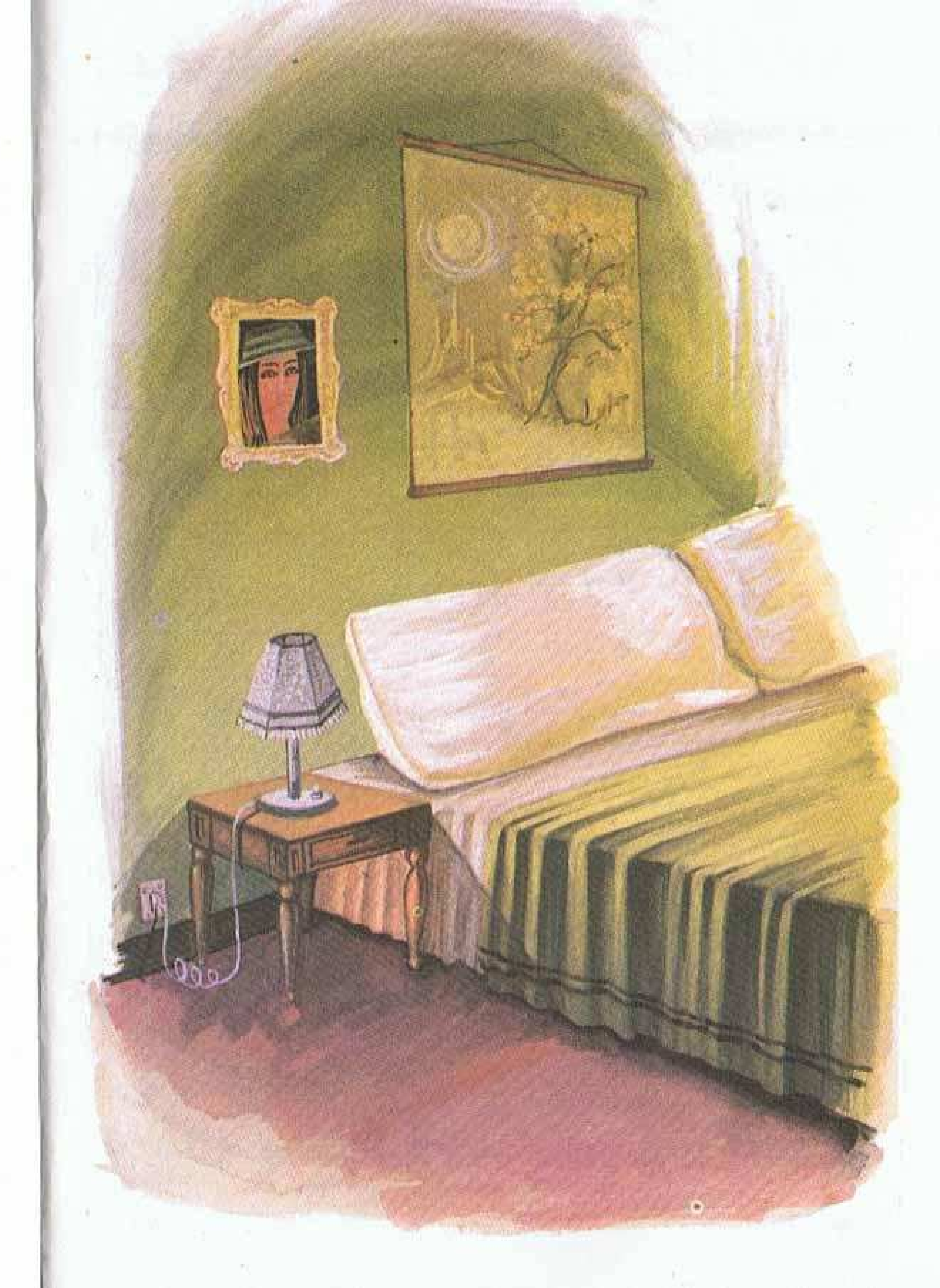
إلَيْكُمْ بَعْضَ التَّفْصيلاتِ عَنْ حُجْرَةِ نَوْمي ، فَلا بُدَّ لَكُمْ أَنْ تُلِمّوا بِها قَبْلَ أَنْ أَرْوِيَ قِصَّتي . فَفي حُجْرَتي سَريرٌ كَبيرٌ مُزْدَوَجٌ . نَعَمْ ، إنَّهُ هُوَ

السَّريرُ ٱلمُزْدوجُ ٱلَّذي كُنّا نَنامُ عَلَيْهِ أَنا وَجولي . وَيَسْتَنِدُ رَأْسُ السَّريرِ إلى ٱلحائِطِ ، وَمِنْ عادَتي أَنْ أَنامَ عَلى أَحَدِ جانِبَيِ السَّريرِ ، الجانِبِ نَفْسِهِ ٱلَّذي كُنْتُ أَشْغَلُهُ دائِمًا . وَتوجَدُ بِجانِبِ السَّريرِ مِنْضَدَةٌ صَغيرَةٌ عَلَيْها مِصْباحٌ جانِبِـيٌّ (أَباجورة) . وَبِٱلقُرْبِ مِنْ أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرَةِ مَقْبِسٌ (بَريزة) لِلْإِنارَةِ ، وَيَتَّصِلُ بِٱلمِصْباحِ ٱلجانِبِـيِّ سِلْكٌ طَويلٌ يَنْتَهي بِقابِسٍ مُناسِبٍ لِلْمَقْبِسِ .

لاتَسْخَرْ مِنْ ذِكْرِ كُلِّ هٰذِهِ التَّفاصيلِ ، فَهِيَ مُهِمَّةٌ جِدًّا ، وَلَنْ يَمْضِيَ وَقْتٌ طَويلٌ ، حَتّى تَعْرِفَ السَّبَبَ .

في إِحْدى لَيالي الشِّتاءِ ٱلمُظْلِمَةِ كُنْتُ أَقْرَأُ في ٱلفِراشِ ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلكِتابُ مُمْتِعًا ، فَشَعَرْتُ بِالنُّعاسِ . وَعادَةً ما أُطْفِئُ النّورَ عِنْدَما أَشْعُرُ بِرَغْبَتي في النَّوْمِ (لِلْمِصْباحِ مِفْتاحٌ أَبْيَضُ صَغيرٌ) ، إِلّا أَنَّهُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ – وَلاأَدْري السَّبَبَ – لَمْ أُطْفِئِ ٱلمِصْباحَ بِالطَّريقَةِ ٱلعادِيَّةِ ، بَلْ مِلْتُ بِجِسْمي عَلى حافَةِ السَّريرِ ، وَجَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ . لِمَ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ؟ ! مازِلْتُ لاأَدْري !

لَقَدْ كانَ ما فَعَلْتُهُ شَيْئًا مُضْحِكًا . وَفي اللَّحْظَةِ ٱلَّتي جَذَبْتُ فيها ٱلقابِسَ لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، وَوَجَدْتُ نَفْسي يَقِظًا تَمامًا . وَكانَتِ ٱلحُجْرَةُ مُظْلِمَةً ، حالِكَةَ الظَّلامِ ، وَمَعَ هٰذا كانَتْ عَيْناي مَفْتوحَتَيْنِ عَلى اتِّساعِهِما .



سَقَطَ كِتابي على أَرْضِيَّةِ ٱلْحُجْرةِ ، بَلِ اصْطَدَمَ بِالْأَرْضِيَّةِ مُحْدِثًا صَوْتًا عالِيًا ، غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَنْتَبِهْ لِذٰلِكَ . وَانْتَصَبْتُ في جِلْسَتي على السَّريرِ فاتِحًا عَيْنَيَّ ، وَأَسْنَدْتُ ظَهْري إلى رَأْسِ السَّريرِ ، وَحَمْلَقْتُ في ٱلْحُجْرةِ ٱلْمُظْلِمةِ ؛ وَبالطَّبْعِ لَمْ أَرَ شَيْئًا . وَلٰكِنْ في تِلْكَ اللَّحْظةِ كُنْتُ على يَقينٍ مِنْ وُجودِ شَخْصٍ في ٱلْحُجْرةِ . لَمْ أَكُنْ أَعرِفُ أَيْنَ بِالتَّحْديدِ ، وَلٰكِنَّ هٰذا ٱلرَّجُلَ .. أَوْهٰذِهِ ٱلْمَرْأَةَ أَوْهٰذا الَّذي لاأَعْرِفُ كُنْهَهُ .. كانَ في مَكانٍ مّا أَمامي . مَرَّتْ دَقائِقُ عَديدةٌ ، وَحَمْلَقْتُ في الظَّلامِ ، وَانْتَظَرْتُ .. وَلٰكِنِّي كُنْتُ لا أَزالُ غَيْرَ قادِرٍ على رُؤْيةِ شَيْءٍ .

لَمْ أَكُنْ خائِفًا ، فالشَّخْصُ الَّذي كانَ بِٱلْحُجْرةِ كانَ وَدودًا لِلْغايةِ ، وَقَدْ كُنْتُ سَعيدًا . وَلَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ شَيْئًا ، وَلٰكِنْ كانَ الضَّحِكُ يَمْلأُ جَوَّ ٱلْحُجْرةِ . وَصِحْتُ : « مَنْ هُناكَ ؟ مَنْ هٰذا ؟ » فَلَمْ أَتَلَقَّ جَوابًا ! وَانْتَظَرْتُ طَويلًا .

كانَ الشَّخْصُ الَّذي بِٱلْحُجْرةِ صَديقًا ، صَديقًا عَزيزًا ، وَكُنْتُ أَتَلَهَّفُ لِلِقاءِ هٰذا ٱلصَّديقِ . فَلَعَلِّي أَراهُ إذا ما أَضَأْتُ النُّورَ .

دارَتْ في رَأْسي هٰذِهِ ٱلفِكْرةُ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنَّني لَمْ أَسْتَخْدِمِ ٱلْمِفْتاحَ ، بَلْ جَذَبْتُ ٱلقابِسَ وَأَخْرَجْتُهُ مِنَ ٱلْمَقْبِسِ .وَعلى ذٰلِكَ مِلْتُ على حافَةِالسَّريرِ ، وَدَفَعْتُ بِٱلقابِسِ داخِلَ ٱلْمَقْبِسِ ؛ فَانْتَشَرَ النُّورُ . كانَتِ

ٱلْحُجْرةُ خالِيةً ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ ، وَكُنْتُ على يَقينٍ مِنْ أَنَّ « الشَّخْصَ » قَدْ رَحَلَ .

قُمْتُ بِجَذْبِ ٱلقابِسِ مَرَّةً أُخْرى وَانْتَظَرْتُ .. لاشَيْءَ ، مازالَتِ ٱلْحُجْرةُ خالِيةً . دَفَعْتُ بِٱلقابِسِ داخِلَ ٱلْمَقْبِسِ ؛ فَغَمَرَ النُّورُ ٱلْحُجْرةَ مَرَّةً أُخْرى . مامِنْ أَحَدٍ أَيْضًا ! أَطْفَأْتُ النُّورَ (بِاسْتِخْدامِ ٱلْمِفْتاحِ) ؛ وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ أَيْضًا . كُنْتُ وَحيدًا ، رَحَلَ عَنِّي صَديقي . بَقيتُ مُسْتَيْقِظًا لِساعاتٍ عَديدةٍ ، وَبَدَأْتُ أُفَكِّرُ : إِنَّهُ شَبَحٌ كَثيرُ الضَّوْضاءِ حَقًّا .

وَفي ٱلحالِ طَرَأَ على ذِهْني اسْمُ بُولْدي ، وَنادَيْتُ : بُولْدي ! بُولْدي ! غَيْرَ أَنَّ الَّذي أُناديهِ لَمْ يَرْجِعْ . في النِّهايةِ اسْتَسْلَمْتُ لِلنَّوْمِ . لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّ شَيْئًا هامًّا قَدْ حَدَثَ لي ، هٰذا الشَّيْءُ هُوَ لِقائي ٱلْأَوَّلُ بِالشَّبَحِ الصَّديقِ ، لِقائي مَعَ بُولْدي ، وَكانَتِ ٱلبِدايةُ !

اَلفَصْلُ الثّاني

اللُّعْبَــــةُ

اِسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمي صَباحَ ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي في ساعةٍ مُتأخِّرةٍ ، وَكانَتْ شَمْسُ الشِّتاء ٱلبارِدَةُ تُضيءُ حُجْرَتي . وَجَلَسْتُ في ٱلفِراشِ ، وَأَخَذْتُ أُفَكِّرُ في أَحداثِ اللَّيْلَةِ السّابِقَةِ : هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ هٰذِهِ ٱلأَشْياءُ حَدَثَتْ بِٱلفِعْلِ ؟ أَمْ كانَتْ كُلُّها حُلْمًا ؟ نَظَرْتُ إلى حافَةِ السَّريرِ . نَعَمْ ، الكِتابُ مازالَ في مَكانِهِ عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ . لَقَدْ أَسْقَطْتُهُ هُناكَ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ . اِنْتَقَلْتُ بِبَصَري إلى ٱلمِصْباحِ وَٱلقابِسِ . القابِسُ مازالَ في مَقْبِسِهِ .. نَعَمْ ، لَقَدْ دَفَعْتُهُ بِنَفْسي في ٱلمَقْبِسِ اللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ . كانَتْ كُلُّ التَّفاصيلِ صَحيحةً .

نَهَضْتُ مِنَ ٱلفِراشِ بِبُطْءٍ ، وَاغْتَسَلْتُ وَتَناوَلْتُ ٱلإِفْطارَ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إلى حُجْرَةِ مَكْتَبي (وَتَذَكَّرْتُ أَنَّني كُنْتُ مُنْهَمِكًا في كِتابَةِ قِصَّةٍ بُوليسِيَّةٍ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ) . وَسُرْعانَ ما اسْتَغْرَقَتْ مُغامَراتُ فيلْبَرْت وايْلي يَوْمي بِأَكْمَلِهِ ؛ فَنَسيتُ كُلَّ شَــيْءٍ عَنْ مُغامَراتِ اللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ .

اِنْتَهَيْتُ مِنْ عَمَلي في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ . وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّني لَمْ أَشْعُرْ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، فَإِنَّني ذَهَبْتُ إلى ٱلفِراشِ مُبَكِّرًا . كانَتِ السّاعةُ ٱلعاشِرةَ . جَلَسْتُ في ٱلفِراشِ ، وَبَدَأْتُ أُفَكِّرُ في أَحْداثِ اللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ . وَلَمْ تَكُنْ لي رَغْبَةٌ في ٱلقِراءَةِ ؛ فَجَلَسْتُ في هُدوءٍ ، وَتَرَكْتُ نورَ ٱلحُجْرةِ مُضاءً ، ثُمَّ أَطْفَأْتُهُ بِحَذَرٍ (بِاسْتِخْدامِ مِفْتاحِ ٱلمِصْباحِ) ، وَانْتَظَرْتُ .. حَمْلَقْتُ في ٱلحُجْرةِ ٱلمُظْلِمةِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَــيْءٌ قَطُّ .

كانَتِ ٱلحُجْرةُ خالِيَةً ، أَوْ هٰكَذا كانَتْ تَبْدو . وَبَدا لِيَ ٱلأَمْرُ سَخيفًا ، فَأَضَأْتُ النُّورَ مَرَّةً أُخْرى وَتَناوَلْتُ كِتابًا .. كِتابًا عَنْ مَوْضوعٍ مُثيرٍ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ ، وَمَضَيْتُ في ٱلقِراءةِ لِفَتْرةٍ طَويلةٍ . وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ؛ فَوَضَعْتُ ٱلكِتابَ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ بِجِوارِ السَّريرِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ أُطْفِـئَ النُّورَ ، إِلّا أَنَّني لَمْ أَسْتَخْدِمِ ٱلمِفْتاحَ - لا أَدْري لِماذا - بَلْ مِلْتُ بِجِسْمي عَلى حافَةِ السَّريرِ وَتَناوَلْتُ السِّلْكَ ، ثُمَّ ٱلقابِسَ في نِهايَتِهِ ؛ فَجَذَبْتُهُ خارِجَ ٱلمَقْبِسِ . وَما إِنِ انْتَهَيْتُ مِنْ ذٰلِكَ حَتّى أَدْرَكْتُ أَنَّ بُولْدي مَوْجودٌ .

لَقَدْ كانَ الشَّبَحُ الصَّديقُ في مَكانٍ ما بِٱلحُجْرةِ ، وَنادَيْتُهُ : « بُولْدي ! » وَلٰكِنْ مامِنْ إجابةٍ ! حَمْلَقْتُ في الظَّلامِ ، ثُمَّ تَرَكْتُ ٱلفِراشَ وَسِرْتُ في ٱلحُجْرةِ . وَكُنْتُ عَلى يَقينٍ أَنَّ بُولْدي في ٱلحُجْرةِ .

وَفي النِّهايةِ رَجَعْتُ إلى ٱلفِراشِ ، وَمِلْتُ عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَدَفَعْتُ بِٱلقابِسِ إلى داخِلِ ٱلمَقْبِسِ ؛ فَغَمَرَ الضَّوْءُ ٱلحُجْرةَ ، وَكانَ بُولْدي قَدِ اخْتَفى . وَعِنْدَما أَطْفَأْتُ النُّورَ مَرَّةً أُخْرى (بِاسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ) لَمْ يَعُدْ ثانِيَةً . وَقُمْتُ بِإِضاءةِ النُّورِ وَإِطْفائِهِ عِدَّةَ مَرّاتٍ ؛ إِلّا أَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ شَــيْءٌ ؛ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَخْلُدَ إلى النَّوْمِ .

تَوَصَّلْتُ في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ إلى اكْتِشافٍ هامٍّ ، لَعَلَّهُ أَوَّلُ اكْتِشافٍ هامٍّ



لي ، تَلَتْهُ عِدَّةُ اكْتِشافاتٍ . ذَهَبْتُ إلى ٱلفِراشِ في وَقْتِي ٱلمُعْتادِ ، وَلَمْ أَقْرأْ شَيْئًا ، بَلْ أَطْفَأْتُ النُّورَ (بِاسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ) وَانْتَظَرْتُ بُولْدي ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ .. إلّا أَنَّهُ سَرْعانَ ما ظَهَرَ عِنْدَما جَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ . شَعَرْتُ بِوُجودِهِ ، وَعِنْدَما دَفَعْتُ بِٱلقابِسِ في ٱلمَقْبِسِ اخْتَفى .

هٰذا هُوَ اكْتِشافِيَ ٱلهامُّ : لايَظْهَرُ بُولْدي إطْلاقًا عِنْدَ اسْتِخْدامي لِمِفْتاحِ ٱلمِصْباحِ ، بَلْ يَظْهَرُ فَقَطْ عِنْدَ جَذْبي لِلْقابِسِ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَهُوَ لايَظْهَرُ إلّامَرَّةً واحِدةً . وَعِنْدَما أُعيدُ ٱلقابِسَ إلى مَكانِهِ في ٱلمَقْبِسِ يَخْتَفي بُولْدي وَلايَرْجِعُ .

قُمْتُ بِتَجْرِبةِ هٰذِهِ ٱلخُطُواتِ في ٱللَّيْلةِ التّالِيةِ . جَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ في ٱللَّحْظةِ الَّتي تَوَجَّهْتُ فيها لِلْفِراشِ ، فَظَهَرَ بُولْدي ، وَلَمّا

أَرْجَعْتُ ٱلقابِسَ إلى مَكانِهِ في ٱلمَقْبِسِ ، وَ انْتَشَرَ النُّورُ ، اخْتَفى بُولْدي وَجَذَبْتُ ٱلقابِسَ خارِجَ ٱلمَقْبِسِ مَرَّةً أُخرى فَلَمْ يَظْهَرْ بُولْدي . قُمْتُ بَعْدَ كُلِّ ذٰلِكَ بِدَفْعِ ٱلقابِسِ وَجَذْبِهِ عِدَّةَ مَرّاتٍ ، إلّا أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ إطْلاقًا .

وَهٰكَذا أَدْرَكْتُ أَنَّ بُولْدي لا يَأْتي إلّامَرَّةً واحِدةً فَقَطْ ، وَيَكونُ ذٰلِكَ عِنْدَما أَجْذِبُ ٱلقابِسَ خارِجَ ٱلمَقْبِسِ ، وَيَخْتَفي لَحْظَةَ إعادةِ ٱلقابِسِ إلى مَكانِهِ .

وَقَدْ ظَلَلْتُ لَيالِيَ كَثيرةً بَعْدَ هٰذا مُسْتَمْتِعًا بِصُحْبةِ بُولْدي ، بَلْ إنَّني كُنْتُ أَحْيانًا أَجْلِسُ مَعَهُ في ٱلحُجْرةِ ٱلمُظْلِمةِ لَعَلَّني كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِما لَدَيَّ مِنْ سُلْطانٍ وَنُفوذٍ ، فَفي إمْكاني اسْتِدْعاؤُهُ إلى ٱلحُجْرةِ أَوْ صَرْفُهُ مِنْها بِاسْتِخْدامِ قابِسِ النُّورِ . إلاأَنَّني لا أَسْتَطيعُ ٱلقِيامَ بِذٰلِكَ إلّا مَرَّةً واحِدةً . وَبِإمْكاني إبْقاءُ ٱلقابِسِ مَسْحوبًا ساعاتٍ وَساعاتٍ فَأَسْعَدُ بِصُحْبةِ بُولْدي بِٱلحُجْرةِ . وَكَثيرًا ماكُنْتُ أُناديهِ ؛ إلّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْتي قَطُّ بِأَيَّةِ إشارةٍ تَدُلُّ ، عَلى وُجودِهِ ! كُنْتُ أَشْعُرُ فَقَطْ بِوُجودِهِ ، فَلَمْ تَكُنْ هُناكَ أَيَّةُ إشارةٍ أُخرى .

لَمْ أُخْبِرْ أَحَدًا قَطُّ بِأَمْرِ بُولْدي . كانَ لِويس يَحْضُرُ كُلَّ يَوْمِ أَرْبِعاءَ لِنَلْعَبَ مَعًا الشِّطْرَنْجَ ، وَمَعَ هٰذا لَمْ أُخْبِرْهُ قَطُّ بِسِرِّي . وَفي أَحَدِ أَيّامِ ٱلأَرْبِعاءِ فُوجِئْتُ بِلويس يَقولُ لي : « تَبْدو بِصِحَّةٍ جَيِّدةٍ ياوِلْيَم .. تَبْدو

دائمًا مُبْتسِمًا وَسَعيدًا . وَمِنْ دَواعي سُروري أَنْ أَراكَ عَلى هٰذِهِ الحالِ . لَعَلَّ في حَياتِكَ سِرًّا . » وَلَمْ يَسَعْني إلاّ أَنْ أَبْتَسِمَ وَأَصْمُتَ .

كانَ ماقالَهُ لِويس صَحيحًا بِطَبيعةِ الحالِ ، فَقَدْ كانَ هُناكَ سِرٌّ في حَياتي ، إلاّ أَنَّني لَمْ أُخْبِرْ لِويس عَنْهُ فَأَنا أُدْرِكُ تَمامًا أَنَّهُ أَعَزُّ صَديقٍ ، بَلْ صَديقِيَ الوَحيدُ ، وَلٰكِنَّني لا أَعْتَقِدُ أَنَّ في مَقْدورِهِ فَهْمَ أَشْياءَ أَوْ أُمورٍ مِنْ هٰذا القَبيلِ .

نَعِمْتُ بِصُحْبَةِ بُولْدي عَلى هٰذِهِ الصُّورةِ لِمُدَّةِ سَنةٍ تَقْريبًا ، وَإذا بِشَيْءٍ غَريبٍ يَحْدُثُ في إحْدى اللَّيالي .. كُنْتُ قَدْ جَذَبْتُ القابِسَ خارِجَ المَقْبِسِ ، وَكانَ بُولْدي في الحُجْرةِ ، وَكُنْتُ جالِسًا في الفِراشِ ، وَنادَيْتُهُ « بُولْدي ! » وَإذا بِهِ يُعْطيني أَوَّلَ إشارةٍ تَدُلُّ عَلى وُجودِهِ : سَمِعْتُ طَرْقةً كانَتْ صادِرةً مِنَ الجانِبِ الآخَرِ لِلْحُجْرةِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ طَرْقةً أُخْرى .. وَأُخْرى ! كانَ صَوْتُ الطَّرَقاتِ يَرْتَفِعُ بِالتَّدْريجِ ، وَيَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ فِراشي ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الطَّرَقاتُ . لَمْ أَكُنْ خائِفًا ، بَلْ كُنْتُ ــ في الواقِعِ ــ أَضْحَكُ ! وَعادَتِ الطَّرَقاتُ تُسْمَعُ مَرَّةً أُخْرى ، إلاّ أَنَّها كانَتْ في هٰذِهِ المَرَّةِ تَتَحَرَّكُ مُبْتَعِدةً عَنْ سَريري إلى الجانِبِ الآخَرِ لِلْحُجْرةِ . كانَتِ الطَّرْقةُ غَريبةً .. كَيْفَ أَصِفُها ؟ ! حَسَنًا ، كانَتْ أَشْبَهَ بِمَشْيِ شَخْصٍ ذي رِجْلٍ خَشَبيَّةٍ ، كَأَنَّها وَقْعُ رِجْلٍ خَشَبيَّةٍ عَلى أَرْضِيَّةِ الحُجْرةِ ، كَأَنَّها لِشَخْصٍ يَعْرُجُ . عِنْدَما يَسيرُ رَجُلٌ أَعْرَجُ ، فَإنَّكَ تَسْمَعُ في خَطْوِهِ نَقْرًا

مُنْتَظِمًا . لَقَدْ غَمَرَتْني السَّعادةُ ، فَأَخيرًا تَلَقَّيْتُ إشارةً مِنْ بُولْدي ، وَأَصْبَحَ في اسْتِطاعَتي الآنَ أَنْ أَشْعُرَ بِوُجودِهِ ، وَكَذٰلِكَ أَسْمَعَ . وَقُلْتُ في نَفْسي إنَّهُ الآنَ يَثِقُ بي ، فَأَعْطاني لِذٰلِكَ إشارةً تَدُلُّ عَلى وُجودِهِ .

كُنْتُ أَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ بِطَريقَتي المُعْتادةِ ، وَلٰكِنَّ حَياتي الآنَ أَصْبَحَتْ مُخْتَلِفةً .. فَقَدْ أَمْسَيْتُ أَسْتَمْتِعُ كُلَّ لَيْلةٍ بِصُحْبةِ بُولْدي ، وَبَدَأَتْ ثِقَتُهُ بي تَزْدادُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَبَدَأَ يُعْطيني إشاراتٍ مُخْتَلِفةً تَدُلُّ عَلى وُجودِهِ : أَحْيانًا يَهُزُّ سَريري ؛ فَأَضْحَكُ ؛ فَيَعْمِدُ إلى هَزِّهِ مَرَّةً أُخْرى ، وَأَحْيانًا يَهُزُّ كُرْسِيًّا في حُجْرَتي . نَعَمْ ، كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَهْتَزُّ . وَأَحْيانًا يُلْقي بِالأَشْياءِ هُنا وَهُناكَ في الحُجْرةِ . صَحيحٌ ، لا أَسْتَطيعُ رُؤْيةَ ذٰلِكَ في الظَّلامِ ، وَ لٰكِنَّني أَسْتَطيعُ – بِكُلِّ تَأْكيدٍ – أَنْ أَسْمَعَ أَصْواتَ هٰذِهِ الأَشْياءِ . وَفي إحْدى المَرّاتِ انْطَلَقَتْ فُرْشاةُ الشَّعْرِ أَمامَ وَجْهي تَمامًا . وَأَحْيانًا يَعْمِدُ بُولْدي إلى فَتْحِ بابِ حُجْرةِ نَوْمي ، ثُمَّ يُغْلِقُهُ ، وَكانَ يَقومُ بِذٰلِكَ بِسُرْعةٍ كَبيرةٍ عِدَّةَ مَرّاتٍ . وَأَحْيانًا يَقومُ بِحِيَلٍ صَغيرةٍ .. فَقَدْ وَجَدْتُ – ذاتَ مَرَّةٍ – قَميصي مُلْقًى عَلى الفِراشِ ، بَلْ وَفي مَرَّةٍ أُخْرى وَجَدْتُ حِذائي عَلى الفِراشِ . وَكُنْتُ دائِمًا أَضْحَكُ مِنْ هٰذِهِ الحِيَلِ وَالأَلاعيبِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ بُولْدي كانَ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ الضَّحِكَ ، فَعِنْدَما كُنْتُ أَضْحَكُ كانَ يَدُقُّ عَلى النّافِذةِ ، أَوْ يَهُزُّ سَريري .

لَقَدْ حاوَلْتُ – بِكُلِّ جَهْدي – أَنْ أَراهُ ، فَكُنْتُ أُحَمْلِقُ في ٱلْحُجْرَةِ ٱلْمُظْلِمةِ ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَرَ شَيْئًا عَلى ٱلإِطْلاقِ ، وَمَعَ هٰذا كُنْتُ أَشْعُرُ بِوُجودِهِ ، وَكُنْتُ – بِالتَّأْكيدِ – أَسْمَعُهُ . وَعِنْدَما كُنْتُ أَسْأَمُ مِنْ كُلِّ هٰذِهِ ٱلأَلاعيبِ ، كُنْتُ أَلْجَأُ إِلى دَفْعِ ٱلقابِسِ مَرَّةً أُخْرى في مَكانِهِ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ؛ فَيُضيءُ ٱلمِصْباحُ وَيَخْتَفي بُولْدي ، ثُمَّ أُطْفِئُ النُّورَ وَأَخْلُدُ لِلنَّوْمِ .

في إِحْدى اللَّيالي تَوَصَّلْتُ إِلى اكْتِشافِيَ الثّاني ٱلهامِّ . كانَ بُولْدي في حُجْرَتي ، وَأَخَذَ يَسيرُ بِعَرَجٍ نَحْوَ سَريري ، ثُمَّ يَبْتَعِدُ عَنْهُ .. وَكَرَّرَ ذٰلِكَ عِدَّةَ مَرّاتٍ ، كانَ في أَثْنائِها يَهُزُّ سَريري وَيَطْرُقُ بابي . وَشَعَرْتُ بَعْدَ كُلِّ ذٰلِكَ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلنَّوْمِ ، فَفَكَّرْتُ أَنْ أُعيدَ ٱلقابِسَ إِلى ٱلمَقْبِسِ ؛ فَيُضيءُ ٱلمِصْباحُ وَيَخْتَفي بُولْدي ، ثُمَّ أُطْفِئُ ٱلمِصْباحَ وَأَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ . وَفِعْلًا ، مِلْتُ بِجِسْمي عَلى حافَةِ السَّريرِ ، وَأَمْسَكْتُ القابِسَ .. وَفَجْأَةً جَذَبَ بُولْدي السِّلْكَ ؛ فَأَفْلَتَ ٱلقابِسُ مِنْ يَدي ، وَاضْطُرِرْتُ إِلى ٱلبَحْثِ عَنِ ٱلقابِسِ – وَلَمْ يَكُنْ هٰذا بِالأَمْرِ اليَسيرِ – ثُمَّ وَضَعْتُهُ في ٱلمَقْبِسِ ، وَلٰكِنَّني خَرَجْتُ بِاكْتِشافٍ هامٍّ : لَمْ يَكُنْ بُولْدي يَرْغَبُ فَقَطْ في إِعْطائي بَعْضَ ٱلأَماراتِ عَنْ وُجودِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فَقَطْ في أَنْ يَقومَ بِبَعْضِ ٱلأَلاعيبِ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ يَرْغَبُ في أَنْ يُشارِكَني في لُعْبَةٍ ما .

تَمَكَّنّا مَعًا – في النِّهايَةِ – مِنِ اخْتِراعِ هٰذِهِ اللُّعْبَةِ .. لُعْبَةِ ٱلقابِسِ وَالضَّوْءِ !

كانَتْ قَواعِدُ اللُّعْبَةِ بَسيطةً لِلْغايَةِ ، وَلٰكِنَّها أَخَذَتْ مِنّا وَقْتًا طَويلًا حَتّى أَرْسَيْناها ، بَلْ يُمْكِنُني ٱلقَوْلُ إِنَّ هٰذِهِ ٱلقَواعِدَ تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَيْها شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَكانَتْ عَلى النَّحْوِ التّالي :

القاعِدةُ ٱلأُولى : تَوَجَّهْتُ إِلى ٱلفِراشِ وَالنُّورُ مازالَ مُضاءً .

القاعِدةُ الثّانِيةُ : جَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنْ مَقْبِسِهِ وَظَهَرَ بُولْدي ، وَلَمْ أَشْعُرْ فَقَطْ بِوُجودِهِ – فَقَدْ كانَ دائِمًا يُعْطيني إِشارةً واضِحةً – وَإِنَّما كُنْتُ أَسْمَعُ وَقْعَ خُطُواتِهِ في ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ لِلْحُجْرةِ .

القاعِدةُ الثّالِثةُ : كانَ بُولْدي بَعْدَ ذٰلِكَ يَسيرُ بِعَرَجٍ نَحْوَ سَريري ، وَكانَ عَلَيَّ أَنْ أُعيدَ ٱلقابِسَ إِلى ٱلمَقْبِسِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلى السَّريرِ ، وَكانَ عَلى بُولْدي أَنْ يَصِلَ إِلى سَريري قَبْلَ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ إِعادةِ ٱلقابِسِ إِلى مَوْضِعِهِ .

كانَتْ هذهِ هِيَ اللُّعْبَةَ ، فإذا ماتَمَكَّنَ بُولْدي مِنَ ٱلوُصولِ إِلى سَريري قَبْلَ أَنْ أَضَعَ ٱلقابِسَ في ٱلمَقْبِسِ ، كانَ هُوَ ٱلفائِزَ ، فَيَهُزُّ سَريري وَتَبْدَأُ اللُّعْبةُ مِنْ جَديدٍ . أَمّا إِذا تَمَكَّنْتُ مِنْ وَضْعِ ٱلقابِسِ أَوَّلًا ، كُنْتُ أَنا ٱلفائِزَ في هٰذِهِ ٱلمُباراةِ ؛ فَيَخْتَفي بُولْدي مَعَ إِنارةِ ٱلمِصْباحِ وَلا يَعودُ مَرَّةً أُخْرى .

كُنّا نلْعَبُ هٰذِهِ اللُّعْبَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ وَلِفَتْرةٍ طَويلةٍ اسْتَمَرَّتْ سَنَتَيْنِ تَقْريبًا .. كانَ بُولْدي عادةً مايفوزُ عِدَّةَ مَرّاتٍ كُلَّ لَيْلةٍ ، وَكُنْتُ أَسْتغْرِقُ في الضَّحِكِ عِنْدَما نَنْهَمِكُ في اللَّعِبِ . لَقَدْ كانَتْ لُعْبةً مُمْتِعةً جِدًّا . وَفَجْأَةً .. إذا بأَمْرٍ يَحْدُثُ فَيَبْعُدُ باللُّعْبةِ عَنْ سَبيلِها ٱلمُعْتادِ . ولا أَدْري ماذا حَدَثَ وَلا كَيْفَ حَدَثَ ، وَلٰكِنَّني عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّ شَيْئًا ما أَفْسَدَ اللُّعْبةَ .

الفَصْلُ الثّالِثُ

مُباراةٌ في الشِّطْرَنْجِ

نَبَّهَني لِويس بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُ دَوْرُكَ ٱلآنَ في اللَّعِبِ . »

أَجَبْتُهُ مُنْدَهِشًا : « دَوْري ؟ لَقَدْ حَرَّكْتُ قِطْعَتي مُنْذُ لَحْظةٍ . »

قالَ لِويس مُشيرًا إلى الرُّقْعةِ : « لَمْ تَفْعَلْ ، بَلْ أَنا الَّذي انْتَهَيْتُ حالًا مِنْ تَحْريكِ قِطْعَتي . إِنَّهُ ٱلآنَ دَوْرُكَ . »

قُلْتُ بِحِدَّةٍ : « لاتَكُنْ سَخيفًا يالِويس ، إِنَّني أَعْرِفُ تَمامَ ٱلمَعْرِفةِ ما إذا كُنْتُ قَدْ حَرَّكْتُ أَمْ لَمْ أُحَرِّكْ قِطْعَتي . »

قالَ لِويس مُكَرِّرًا : « حَسَنًا ، إِنَّكَ لَمْ تُحَرِّكْ قِطْعَتَكَ ، وَهُوَ دَوْرُكَ ٱلآنَ ، أُلاحِظُ أَنَّكَ لاتُتابِعُ اللُّعْبَةَ ياوِلْيَم . »

صِحْتُ فَجْأَةً : « اللُّعْبةُ ؟ أَيَّةُ لُعْبةٍ ؟ مَنْ أَخْبَرَكَ عَنِ اللُّعْبةِ ؟ ماذا تَعْرِفُ عَنِ اللُّعْبةِ ؟ إِنَّني لَمْ أُخْبِرْ أَحَدًا قَطُّ عَنِ اللُّعْبةِ ، فَهِيَ سِرِّيَ ٱلخاصُّ ، هَلْ تَعي ما أَقولُ ؟ إِنَّها سِرٌّ أَحْتَفِظُ بِهِ لِنَفْسي ... بَلْ أَحْتَفِظُ أَنا وَبُولْدي بِهِ .. فَنَحْنُ .. » كُنْتُ أَصيحُ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتي .. وَتَوَقَّفْتُ فَجْأَةً . وَكانَ لِويس يَنْظُرُ إِلَيَّ بِطَريقةٍ غَريبةٍ .

« هَلْ هُناكَ ماتَوَدُّ أَنْ تُخْبِرَني بِهِ ياوِلْيَم ؟ »

« مــــاذا ؟ »

« هَلْ تُريدُ أَنْ تُخْبِرَني بِشَـيْءٍ ؟ لا بُدَّ أَنَّكَ تُفَكِّرُ في أَمْرٍ ما . »

قُلْتُ : « لا أُفَكِّرُ في أَيِّ شَـيْءٍ . » كانَ لا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أَضْبِطَ نَفْسي ، وَنَظَرْتُ في عَيْنَـيْ لِويس قائِلًا : « أَنْتَ عَلى صَوابٍ ، هُناكَ شَـيْءٌ يَشْغَلُ فِكْري . إِنَّها قِصَّةُ فيلْبَرْت وايْلي الجَديدَةُ ، فَهِيَ تَشْغَلُ تَفْكيري كُلَّ الوَقْتِ ، وَهِـيَ قِصَّةٌ تَدورُ حَوْلَ لُعْبَةٍ ، وَيَنْشَغِلُ تَفْكيري بِهٰذِهِ اللُّعْبَةِ دائِمًا .. آسِفٌ عَمّا بَدَرَ مِنّي مُنْذُ لَحْظَةٍ . »

قالَ لِويس مُهَدِّئًا مِنْ رَوْعي : « لا بُدَّ أَنَّ قِصَّتَكَ مُشَوِّقَةٌ لِلْغايَةِ ، وَلٰكِنَّنا الآنَ نَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ ! »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، لا بُدَّ أَنْ أَضْبِطَ نَفْسي . »

سَأَلَني لِويس : « مَنْ .. مَنْ بُولْدي هٰذا ؟ »

قُلْتُ صائِحًا : « بُولْدي ؟ ماذا تَعْرِفُ عَنْ بُولْدي ؟ مَنْ أَخْبَرَكَ عَنْ بُولْدي ؟ »

كانَ صَوْتِـي الغاضِبُ يَرِنُّ في أُذُنَـيَّ ، وَكُنْتُ أَصيحُ ، وَمَرَّةً أُخْرى تَوَقَّفْتُ فَجْأَةً قائِلًا : « إِنَّني لَآسِفٌ . »

قالَ لِويس : « أَخْبَرْتَني أَنْتَ عَنْ بُولْدي ياوِلْيَم ، فَمُنْذُ لَحْظَةٍ واحِدَةٍ كُنْتَ تَقولُ : أَنا وَبُولْدي فَقَطْ .. نَحْنُ ... . »

سَأَلْتُ : « هَلْ قُلْتُ ذٰلِكَ حَقًّا ؟ »

قالَ لِويس : « نَعَمْ ، إِنَّني أَعْرِفُكَ جَيِّدًا ياوِلْيَم ، فَلَيْسَ لَكَ كَثيرٌ مِنَ الأَصْدِقاءِ ، هَلْ بُولْدي هٰذا صَديقٌ جَديدٌ ؟ إِنَّ بُولْدي لَيْسَ بِالاسْمِ الشّائِعِ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلى ، إِنَّهُ اسْمٌ غَيْرُ مَأْلوفٍ ، سَأُخْبِرُكَ عَنْ بُولْدي إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ كُلَّ شَـيْءٍ عَنْهُ . إِنَّ بُولْدي مُجَرَّدُ شَخْصِيَّةٍ في قِصَّتي الجَديدَةِ عَنْ فيلْبَرْت وايْلي . »

« أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الشَّخْصِيّاتِ هُوَ ؟ »

« لا أَعْلَمُ ، فَهُوَ شَخْصِيَّةٌ لَعوبٌ ، يَقومُ بِجَميعِ أَنْواعِ الأَلاعيبِ . »



« أَعْني ، أَهُوَ شَخْصِيَّةٌ خَيِّرَةٌ أَمْ شِرِّيرَةٌ ؟ »

« لا ،لا .. إِنَّهُ شَخْصِيَّةٌ خَيِّرَةٌ بِالطَّبْعِ ، فَهُوَ شَخْصٌ لَطيفٌ .. لَطيفٌ جِدًّا ، شَخْصٌ طَيِّبٌ وَمُضْحِكٌ ، وَأَنا أُحِبُّهُ كَثيرًا . وَلٰكِنْ .. وَلٰكِنْ .. »

« لٰكِنْ ماذا ؟ »

« حَسَنًا ، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ شِرِّيرٌ أَحْيانًا ، بَلْ إِنَّ شَخْصِيَّةَ بُولْدي لَيْسَتْ واضِحةً في خَيالي تَمامًا ، فَأَحْيانًا أَراهُ شِرِّيرًا .. بَلْ شِرِّيرًا جِدًّا . »

« شِرِّيرٌ ؟ وَلٰكِنَّكَ قُلْتَ : إِنَّهُ مُضْحِكٌ وَطَيِّبٌ وَيُحِبُّ اللَّعِبَ . »

قُلْتُ : « هٰذِهِ نُقْطَةٌ جَديدةٌ بِالْمُناقَشةِ . أَخْبِرْني يا لويس .. هَلْ يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكونَ شِرِّيرًا وَمُضْحِكًا وَطَيِّبًا وَلَعوبًا في نَفْسِ الْوَقْتِ ؟ مارَأْيُكَ ؟ »

قالَ لِويس : « لَمْ أُفَكِّرْ في هٰذا الأَمْرِ قَطُّ . »

قُلْتُ : « سَأَحْكي لَكَ عَنْ بُولْدي بِقَدْرِ ما أَسْتَطيعُ . إِنَّ بُولْدي .. »

وَفَجْأَةً سَمِعْتُ طَرَقاتٍ آتِيةً مِنَ الطّابَقِ الْعُلْوِيِّ ، وَكُنْتُ أَنا وَلويس نَجْلِسُ في حُجْرةِ الْمَعيشةِ الَّتي كانَتْ تَقَعُ أَسْفَلَ حُجْرةِ نَوْمي مُباشَرةً ، وَكانَتِ الطَّرَقاتُ آتِيةً مِنْ حُجْرةِ نَوْمي .

سَأَلَ لِويس : « ماالأَمْرُ يا وِلْيَم ؟ وَجْهُكَ شاحِبٌ ، كُنْتَ تَحْكي لي عَنْ بُولْدي . أَرْجوكَ أَكْمِلْ حَديثَكَ . »

سَأَلْتُ : « هَلْ سَمِعْتَ طَرْقًا يا لِويس ؟ طَرْقًا مِثْلَ هٰذا ؟ » اِلْتَقَطْتُ إِحْدى قِطَعِ الشِّطْرَنْجِ ، وَبَدَأْتُ أَنْقُرُ بِها عَلى الطّاوِلةِ ، نَقْرًا مِثْلَ وَقْعِ رِجْلٍ خَشَبِيَّةٍ عَلى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرةِ ، مِثْلَ وَقْعِ رَجُلٍ يَعْرُجُ .

قالَ لِويس : « لا ، بِالطَّبْعِ لَمْ أَسْمَعْ أَيَّ شَـيْءٍ . »

« لٰكِنَّهُ جاءَ مِنَ الطّابَقِ الْعُلْوِيِّ . »

« لا ، إِنَّ الْهُدوءَ يَسودُ الْمَكانَ هُنا . »

« إِذًا ، لا بُدَّ أَنَّ الصَّوْتَ في خَيالي أَنا . »

أَجابَ لِويس : « نَعَمْ ، إِنَّهُ مِنَ اخْتِلاقِ خَيالِكَ ، فَأَنْتَ كاتِبٌ يا وِلْيَم ، وَتَعيشُ حَياتَكَ في دُنْيا الْخَيالِ . وَلٰكِنِ انْتَبِهْ لِنَفْسِكَ ، فَالْخَيالُ قَدْ يَكونُ شَديدَ الْخَطَرِ ! »

« كَيْفَ يَكونُ شَديدَ الْخَطَرِ ؟ . »

« حَسَنًا ، قَدْ يُسَيْطِرُ الْخَيالُ عَلى حَياتِكَ ، فَأَنْتَ تُغْرِقُ نَفْسَكَ في الْعَمَلِ ، وَلا تَخْرُجُ كَثيرًا ، وَتَعيشُ حَياةً كَئيبةً .. إِنَّكَ تَحْبِسُ نَفْسَكَ في حُجْرةِ مَكْتَبِكَ طَوالَ الْيَوْمِ ، وَتَعيشُ وَحيدًا في هٰذا الْمَنْزِلِ الْكَبيرِ ، وَعِنْدَما يَأْتي اللَّيْلُ تَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ حَتّى الْيَوْمِ التّالي ؛ فَتَسْعى إِلى حُجْرةِ مَكْتَبِكَ مَرَّةً أُخْرى . أَنْتَ في حاجةٍ إِلى الأَصْدِقاءِ ، أَنْتَ في حاجةٍ إِلى الْهَواءِ وَالطَّبيعةِ وَالشَّمْسِ . إِنَّكَ لا تَعيشُ حَياةَ شَخْصٍ عادِيٍّ ، بَلْ تَعيشُ

مِنْ خِلالِ مايُمْليهِ عَلَيْكَ خيالُكَ ، وَهُنا يَكْمُنُ ٱلخَطَرُ . فَشَطَحاتُ ٱلخَيالِ قَدْ تُسَيْطِرُ عَلى حَياتِكَ . أُنْظُرْ إلى حَديثِكَ عَنْ بُولْدي .. إنَّكَ تَتَصَوَّرُهُ شَخْصًا حَقيقِيًّا ، بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ مُجَرَّدَ شَخْصِيَّةٍ في إحْدى قِصَصِكَ ، تَمامًا مِثْلَ فيلْبَرْت وايْلي .. شَخْصِيَّةٍ لَيْسَ لَها وُجودٌ في ٱلواقِعِ . »

« كَلّا ، إنَّهُ مَوْجودٌ بِٱلفِعْلِ . »

« صَحيحٌ ، وَلٰكِنْ في خَيالِكَ فَقَطْ . »

« بَلْ هُوَ مَوْجودٌ فِعْلًا ، وَهُوَ حَقيقَةٌ لانَسْتَطيعُ انْكارَها ، لَقَدْ كانَ هامْلِت إحْدى شَخْصِيّاتِ شِكْسْبير ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَهُ وُجودٌ فِعْلِـيٌّ ، لَهُ كِيانٌ حَقيقِيٌّ . كـانَتِ ٱلمَلِكَـةُ إليزابيث مَوْجـودةً .. عـاشَتْ وَحَكَمَتْ إنْجِلْتِرا ، لٰكِنَّهالَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ واقِعِيَّةً مِنْ هامْلِت . ألا تَعْتَقِدُ أَنَّ هامْلِت شَخْصٌ حَقيقِـيٌّ مِثْلُهُ في ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلمَلِكَةِ إليزابيث ؟ أَعْني أَنَّ كُلًّا مِنْهُما شَخْصِيَّةٌ لَها كِيانٌ فِعْلِيٌّ في عُقولِنا . »

قالَ لِويس : « هٰذِهِ قَضِيَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ مُثيرةٌ لِلتَّفْكيرِ فِعْلًا ، فَالأَشْياءُ قَدْ توجَدُ في ٱلعَقْلِ أَوْ في واقِعِ ٱلحَياةِ ؛ وَعَلى ذٰلِكَ تَبْدو شَخْصِيَّةُ بُولْدي هٰذا واقِعًا وَحَقيقَةً بِالنِّسْبَةِ لَكَ ، تَمامًا كَما أَنَّني واقِعٌ مَلْموسٌ لَكَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلى ، هٰذا صَحيحٌ . »

قالَ لِويس : « كُنْتُ أَعْرِفُ دائِمًا أَنَّكَ فَيْلَسوفٌ يا وِلْيَم ، وَٱلآنَ فَلْنَسْتَأْنِفْ لُعْبَةَ الشِّطْرَنْجِ ، إنَّهُ دَوْرُكَ ٱلآنَ . »

« دَوْري ؟ لَقَدْ حَرَّكْتُ قِطْعَتي حالًا . »

« لاداعِيَ لِأَنْ تُعيدَ ٱلجِدالَ مِنْ جَديدٍ . اِسْمَعْ .. فَلْنُراجِعْ جَميعَ ٱلحَرَكاتِ مِنَ ٱلبِدايَةِ . إنَّني أَلْعَبُ بِٱلقِطَعِ ٱلبَيْضاءِ ، وَأَنْتَ بِالسَّوْداءِ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

« بَلى ، هٰذا صَحيحٌ . » وَبَدَأَ لِويس يَعودُ بِالذّاكِرةِ إلى مالَعِبْناهُ مِنْ أَدْوارٍ ، حَرَكَةً حَرَكَةً .

قالَ لِويس : « لَقَدْ قامَ كُلٌّ مِنّا بِاللَّعِبِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ نَقْلَةً ، وَأَنا أَلْعَبُ بِٱلقِطَعِ ٱلبَيْضاءِ لِذا قُمْتُ بِالنَّقْلَةِ ٱلأولى ، وَقَدْ حَرَّكْتُ قِطْعَتي ٱلآنَ ، وَهٰذِهِ هِيَ نَقْلَتي ٱلخامِسَةَ عَشْرَةَ ، وَحانَ دَوْرُكَ ٱلآنَ . »

نَظَرْتُ إلى رُقْعَةِ الشِّطْرَنْجِ مُفَكِّرًا لِفَتْرةٍ طَويلةٍ ، وَقُلْتُ : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ فَلَمْ أَكُنْ أُتابِعُ ٱلمُباراةَ . »

أَجابَ لِويس : « أَجَلْ ، وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِذٰلِكَ ، فَذِهْنُكَ مَشْغولٌ بِأُمورٍ أُخْرى . »

« حَسَنًا ، إنَّني أَنْظُرُ إلى اللُّعْبَةِ ٱلآنَ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّني مَلَلْتُها . لَقَدْ حَدَثَ

شَيْءٌ ما أَفْسَدَها . »

قالَ لِويس : « لَيْسَ بِالنِّسْبَةِ لي ، وَلٰكِنْ بالنِّسْبَةِ لَكَ . »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، حَدَثَ خَطأٌ ما ، خَطأٌ جَسيمٌ وَلا يُمْكِنُني عَمَلُ شَيءٍ حِيالَهُ . » ثُمَّ قُمْتُ بِتَحْريكِ المَلِكِ .

قامَ لِويس في الحالِ بِتَحْريكِ « وَزيرِهِ » . رَفَعَ بِيَدِهِ قِطْعَةَ الشِّطْرَنْجِ الخَشَبِيَّةَ الكَبيرةَ ، ثُمَّ نَزَلَ بِها بِشِدَّةٍ عَلى رُقْعةِ الشِّطْرَنْجِ ، فاصْطَدَمَتْ بِسَطْحِ الرُّقْعةِ مُحْدِثَةً صَوْتًا عالِيًا ، ثُمَّ هَتَفَ : « ماتَ المَلِكُ ، أَخْشى أَنْ تَكونَ قَدْ خَسِرْتَ المُباراةَ . »

نَظَرْتُ إلى قِطْعةِ الشِّطْرَنْجِ ، وَقُلْتُ : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ .. ماتَ المَلِكُ ، وَلَيْسَ مِنْ سَبيلٍ لإِنْقاذِهِ ! ماتَ المَلِكُ . »

قالَ لِويس : « لَمْ تَلْعَبْ جَيِّدًا اليَوْمَ .. لَمْ تَلْعَبْ مُباراتَكَ المُعْتادَةَ . »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، إنَّني أَعْرِفُ ذٰلِكَ . »

سَأَلَ لِويس : « هَلْ تَعْلَمُ لِماذا ؟ »

« كَلاّ ، لِماذا ؟ أَخْبِرْني ! »

« لَمْ تَكُنْ مُرَكِّزًا عَلى المُباراةِ ، بَلْ كانَ ذِهْنُكَ مَشْغولًا بِتِلْكَ

الشَّخْصِيَّةِ – بُولْدي ! . إنَّني لَمْ أَهْزِمْكَ ، لَقَدْ هَزَمَكَ بُولْدي . »

« كَيْفَ ذٰلِكَ ؟ »

« لِأَنَّهُ يُسَيْطِرُ عَلى تَفْكيرِكَ . إنَّ لِلْفَلاسِفَةِ وَالكُتّابِ حَقًّا في الحَياةِ أَيْضًا ، وَلاينْبَغي لَهُمْ أَنْ يَسْمَحوا لِلأَفْكارِ بِالسَّيْطَرةِ عَلى حَياتِهِمْ . »

قُلْتُ : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ يالِويس . »

نَظَرَ لِويس إلى ساعَتِهِ قائِلًا : « السّاعَةُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ إلّا عَشْرَ دَقائِقَ . تَأَخَّرَ بِنا الوَقْتُ ، وَلا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ الآنَ . » ثُمَّ وَقَفَ قائِلًا : « شُكْرًا عَلى المُباراةِ يا وِلْيَم . تُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ ، وَإلى الأُسْبوعِ المُقْبِلِ . »

قُلْتُ : « شُكْرًا يا لِويس ، وَتُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ . » ثُمَّ نَهَضْتُ واقِفًا ، وَفَجْأةً أَطَحْتُ بِرُقْعةِ الشِّطْرَنْجِ ؛ فَسَقَطَتْ عَلى الأَرْضِيَّةِ ؛ وَتَبَعْثَرَتِ القِطَعُ في أَرْجاءِ الحُجْرةِ .

قالَ لِويس ضاحِكًا : « لَقَدْ خَسِرْتَ المُباراةَ الآنَ بِالفِعْلِ . »

الفَصْلُ الرّابِعُ

حَدَثَ خَطَأٌ ما في اللُّعْبَةِ

مَرَّ عَلى مُباراةِ الشِّطْرَنْجِ الَّتي وَصَفْتُها حالًا نَحْوُ خَمْسَةِ أَعْوامٍ ، وَمُنْذُ ذٰلِكَ الحينِ – بِطَبيعَةِ الحالِ – كُنْتُ أَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ مَعَ لِويس مَرَّةً كُلَّ أُسْبوعٍ . وَهُناكَ مُباراةٌ مَعَهُ غَدًا ، وَلٰكِنَّني وَصَفْتُ مُباراةَ الشِّطْرَنْجِ تِلْكَ لِأَنَّني أَتَذَكَّرُها بِالتَّفْصيلِ . في ذٰلِكَ الوَقْتِ كانَتْ لُعْبَتي مَعَ بُولْدي قَدْ بَدَأَتْ تَمُرُّ بِمَرْحَلَةٍ صَعْبَةٍ ، وَلَمْ يَحْدُثْ ذٰلِكَ بِشَكْلٍ مُفاجِئٍ ، بَلْ كانَ التَّحَوُّلُ تَدْريجِيًّا وَبَطيئًا جِدًّا ، حَتّى إِنَّني في الواقِعِ لَمْ أَلْحَظِ التَّغْييرَ أَوَّلَ الأَمْرِ .

لَمْ يَتَحَدَّثْ لِويس مَعي مَرَّةً أُخْرى عَنْ بُولْدي ، وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَتَحَدَّثْ أَنا كَذٰلِكَ عَنْهُ . لَقَدْ أَخْبَرْتُ لِويس أَنَّ بُولْدي كانَ إِحْدى الشَّخْصِيّاتِ في قِصَّتي البوليسِيَّةِ ؛ وَصَدَّقَ ما قُلْتُ . وَلَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَتي أَنْ أُخْبِرَهُ أَنَّ بُولْدي مَوْجودٌ فِعْلًا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ شَخْصِيَّةً تَعيشُ فَقَطْ في خَيالي ، وَلٰكِنَّهُ يَعيشُ في دُنْيا الواقِعِ ، يَعيشُ في حُجْرَتي ، بَلْ إِنَّني أَحْيانًا لا أَعْتَبِرُها حُجْرَتي الخاصَّةَ بي وَحْدي ، بَلْ حُجْرَةَ بُولْدي أَيْضًا .

لَقَدْ أَوْشَكْتُ أَنْ أَفْقِدَ القُدْرَةَ عَلى ضَبْطِ النَّفْسِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ لِويس ، فَقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْ بُولْدي ، وَكانَ مِنَ الخَطَإِ أَنَّني فَعَلْتُ ذٰلِكَ ، فَأَنا لَمْ

أَكُنْ أَدْري أَنَّ بُولْدي قَدْ سَمِعَني وَأَنَّ وَقْعَ خُطاهُ في الطّابَقِ العُلْوِيِّ كانَ كَتَحْذيرٍ لي وَلَمْ يَسْمَعْ لِويس التَّحْذيرَ بِطَبيعَةِ الحالِ ، فَقَدْ كانَ مُوَجَّهًا لي ، وَكَأَنَّ بُولْدي يَقولُ : « اِصْمُتْ ياوِلْيَم ! لا تَفْضَحْ سِرَّنا . » وَلِهٰذا أَصْبَحْتُ حَريصًا مُنْذُ ذٰلِكَ الحينِ ، أَتَجَنَّبُ الحَديثَ بِأَيِّ شَكْلٍ عَنْ عَمَلي ، خَشْيَةَ أَنْ يُبادِرَني لِويس بِأَسْئِلَةٍ عَنْ بُولْدي .

لَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ الأُمورَ بَدَأَتْ تَسوءُ ، وَأَنَّ ذٰلِكَ حَدَثَ بِالتَّدْريجِ ، وَلاحَظْتُ ذٰلِكَ – لِأَوَّلِ مَرَّةٍ – قَبْلَ مُباراتي مَعَ لِويس بِشَهْرَيْنِ تَقْريبًا .. فَفي إِحْدى اللَّيالي كُنْتُ وَبُولْدي نَلْعَبُ لُعْبَتَنا المُعْتادَةَ ، وَكُنْتُ قَدْ جَذَبْتُ القابِسَ مِنَ المَقْبِسِ ؛ فَغَرِقَتِ الحُجْرَةُ في ظَلامٍ دامِسٍ . إِنَّني دائِمًا أَشْعُرُ بِوُجودِ بُولْدي ، ثُمَّ يَقومُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِإِعْطائي إِشارَةً تَدُلُّ عَلى وُجودِهِ . أَحْيانًا تَكونُ هٰذِهِ الإِشارَةُ في صورَةِ طَرَقاتٍ عَلى أَرْضِيَّةِ الحُجْرَةِ ، وَأَحْيانًا نَقَراتٍ عَلى النّافِذَةِ ، وَأَحْيانًا أُخْرى بِهَزِّ سَريري . غَيْرَ أَنَّهُ في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ لَمْ يُعْطِني أَيَّةَ إِشارَةٍ ، وَكُنْتُ قَدْ شَعَرْتُ بِوُجودِهِ عِنْدَما انْطَفَأَ النّورُ . كانَ هٰذا كُلَّ شَيْءٍ ، وَجَلَسْتُ في الفِراشِ وَنادَيْتُهُ :
« بُولْدي .. أَعْلَمُ أَنَّكَ هُنا ، وَأَنا عَلى اسْتِعْدادٍ لِلَّعِبِ ، هَلْ أَنْتَ جاهِزٌ ؟ »

لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ ! فَغادَرْتُ الفِراشَ ، وَمَشَيْتُ في أَنْحاءِ الحُجْرَةِ . مَشَيْتُ بِمُنْتَهى الهُدوءِ عَلى الأَرْضِيَّةِ الخَشَبِيَّةِ ، وَكانَتْ خُطُواتي خَفيفَةً جِدًّا ، وَمَعَ ذٰلِكَ كُنْتُ أَسْمَعُ وَقْعَها .

كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ بُولْدي يَتْبَعُني وَأنا أَمْشي في أَنْحاءِ ٱلحُجْرَةِ . وَتَوَقَّفْتُ عَنِ ٱلمَشْيِ فَجْأَةً وَاسْتَدَرْتُ ؛ وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَرَ شَيْئًا . وَمَشَيْتُ في ٱلحُجرةِ ذَهابًا وَإيابًا عِدَّةَ مَرّاتٍ (مِنْ أَحَدِ أَطْرافِها إلى الطَّرَفِ ٱلآخَرِ) ، وَكُنْتُ أَتَوَقَّفُ فَجْأَةً ، وَكانَ بُولْدي يَتْبَعُني . وَقَفْتُ ساكِنًا وَأَصْغَيْتُ ؛ فَسَمِعْتُ وَقْعًا خَفيفًا عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرَةِ ، وَكانَ الصَّوْتُ خَلْفي تَمامًا ، وَكانَ يَرْتَفِعُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَاسْتَدَرْتُ خَلْفي ؛ فَاخْتَفى الصَّوْتُ .

قُلْتُ غاضِبًا : « ماهٰذا الَّذي تَفْعَلُهُ يابُولْدي ؟ ! .. أَنْتَ لاتَلْعَبُ .. أَتُشارِكُني اللَّعِبَ أَمْ لا ؟ حَسَنًا ، سَأُعاقِبُكَ ، وَأَرْجِعُ إلى ٱلفِراشِ .. سَأَضَعُ ٱلقابِسَ في ٱلمَقْبِسِ وَأَصْرِفُكَ .. سَأُعاقِبُكَ . » قَفَزْتُ إلى ٱلفِراشِ ، ثُمَّ قُلْتُ : « سَأُعْطيكَ فُرْصَةً واحِدَةً أُخْرى ، أَتَرْغَبُ في اللَّعِبِ أَمْ لا ؟ » مَرَّةً أُخْرى لَمْ يَحْدُثْ أَيُّ شَــيْءٍ .

قُلْتُ : « سَأَبْدَأُ ٱلعَدَّ حَتَّى الثَّلاثَةِ . » وَبَدَأْتُ ٱلعَدَّ بِبُطْءٍ : « واحِدٌ ، اِثْنانِ ، ثَلاثَةٌ . » مِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَتَلَمَّسْتُ ٱلأَرْضِيَّةَ بِيَدي حَتَّى أَمْسَكْتُ بِالسِّلْكِ ، وَلٰكِنْ .. بَدَأَ السِّلْكُ يَنْزَلِقُ مِنْ يَدي ؛ فَأَمْسَكْتُهُ بِقُوَّةٍ وَجَذَبْتُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بُولْدي كانَ يَجْذِبُ في ٱلاتِّجاهِ ٱلمُضادِّ . وَكُنْتُ أَجْذِبُ بِيَدٍ وَأُحاوِلُ تَلَمُّسَ ٱلقابِسِ بِٱليَدِ ٱلأُخْرى حَتَّى انْزَلَقَ جِسْمي ، وَكادَ يَسْتَقِرُّ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ . وَأَخيرًا ، وَجَدْتُ القابِسَ ، وَأَدْخَلْتُهُ في ٱلمَقْبِسِ ؛ فَأَضاءَ ٱلمِصْباحُ ، وَاخْتَفى بُولْدي .

أَطْفَأْتُ النُّورَ بِاسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ ، وَلٰكِنِّي بَقيتُ مُسْتَيْقِظًا لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وَكانَ قَلْبي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ . إنَّهُ لَشَــيْءٌ مُضْحِكٌ فِعْلًا ، لِمَ لا يَلْعَبُ بُولْدي مَعي ؟ ! إنَّهُ أَشْبَهُ بِصَبِــيٍّ صَغيرٍ . رُبَّما يَرْغَبُ في تَغْييرِ قَواعِدِ اللُّعْبَةِ ، أَوْ في ٱلقِيامِ بِبَعْضِ ٱلحِيَلِ ، وَلٰكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ تَمامًا أَنَّ بُولْدي لَمْ يَكُنْ يَقومُ بِأَيَّةِ حِيَلٍ .

وَهٰكَذا تَوَصَّلْتُ إلى اكْتِشافِــيَ الثّالِثِ ٱلهامِّ . لَقَدْ حَدَثَ خَطَأٌ ما في لُعْبَتِنا ، وَلَنْ تَكونَ كَما كانَتْ سابِقًا .

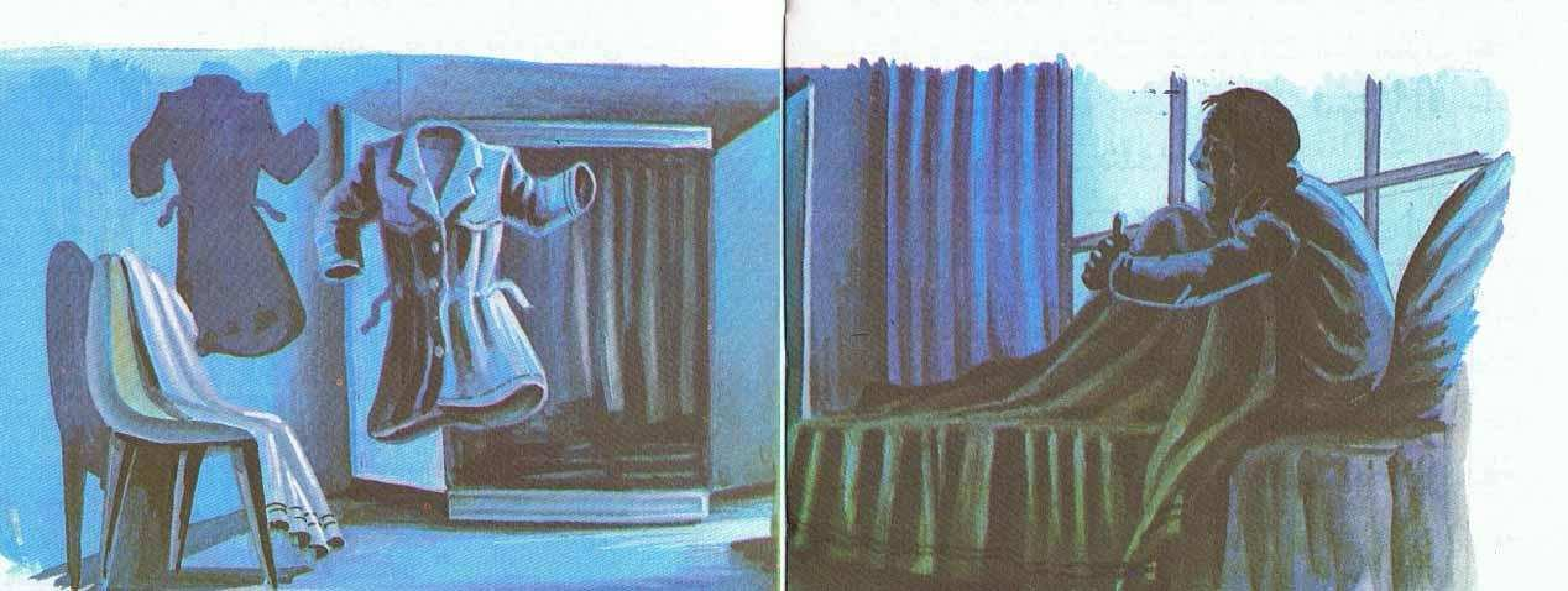
في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ قَطُّ بِالْخَوْفِ مِنْ قَبْلُ في لَعِبي مَعَ بُولْدي . وَلَمْ أَسْتَطِعْ جَذْبَ ٱلقابِسِ مِنْ مَقْبِسِهِ ؛ فَرَقَدْتُ في ٱلفِراشِ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ وَالنُّورُ مُضاءٌ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ فِعْلًا . وَأَخيرًا اسْتَجْمَعْتُ قُوايَ ؛ وَجَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَأَنا أُحَدِّثُ نَفْسي : « ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ ؟ »

لَمْ يَقُمْ بُولْدي بِأَيَّةِ حيلَةٍ ، وَكُنْتُ سَعيدًا بِذٰلِكَ ، بَلْ لَعِبْنا لُعْبَتَنا الطَّريفَةَ ٱلمُعْتادَةَ ، وَاسْتَمْتَعْتُ بِها كَما اسْتَمْتَعَ بِها بُولْدي .

كانَتِ اللَّيْلَةُ السّابِقَةُ لِمُباراتي في الشِّطْرَنْجِ مَعَ لِويس لَيْلَةً عَصيبَةً – وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتي وَصَفْتُها فيما سَبَقَ – كانَ ٱلقَمَرُ بَدْرًا في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ وَلِهٰذا لَمْ أُغْلِقِ السَّتائِرَ ، وَلَمْ أَكُنْ أَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَكانَ الضَّوْءُ يَغْمُرُ

ٱلحُجْرةَ ، وَكانَ ٱلمِصْباحُ مُضاءً عِنْدَما تَوَجَّهْتُ لِلْفِراشِ . وَبَعْدَ فَتْرةٍ قَصيرةٍ فَصَلْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَكُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِبَدْءِ ٱلمُباراةِ ، غَيْرَ أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ ؛ فَلَمْ يُعْطِ بُولْدي أَيَّةَ إِشارةٍ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ مَوْجودًا في ٱلحُجْرةِ بِالطَّبْعِ .

جَلَسْتُ في ٱلفِراشِ وَٱنْتَظَرْتُ ، وَكُنْتُ أَرى ٱلبَدْرَ مِنْ نافِذةِ حُجْرَتي ، وَكانَتْ هُناكَ بَعْضُ الظِّلالِ الدّاكِنةِ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ ، كَما كانَتْ هُناكَ ظِلالٌ عَلى ٱلحَوائِطِ . وَتَرامى إِلى أُذُني مُواءُ قِطَّةٍ آتٍ مِنَ ٱلخارِجِ ، وَبَدا لي كَأَنَّها تَبْكي مِثْلَ طِفْلةٍ صَغيرةٍ ، وَأَنا أَمْقُتُ هٰذا الصَّوْتَ . نَهَضْتُ وَفَتَحْتُ النّافِذةَ ، وَصِحْتُ : « هِش ! هِش ! » ، وَتَوَقَّفَتِ ٱلقِطَّةُ عَنِ ٱلمُواءِ ، غَيْرَ أَنَّها عادَتْ فاسْتَأْنَفَتْهُ ؛ فَصِحْتُ ثانِيةً : « هِش ! » ، وَفي هٰذِهِ ٱلمَرَّةِ رَأَيْتُ ٱلقِطَّةَ . كانَتْ قِطَّةً سَمينةً سَوْداءَ جَرَتْ عَبْرَ ٱلحَديقةِ ؛ فَارْتَحْتُ ، وَرَجَعْتُ إِلى ٱلفِراشِ ، وَسَأَلْتُ : « أَنَلْعَبُ أَمْ لا ؟ » كُنْتُ أَرى ٱلحُجْرةَ بِأَكْمَلِها بِوُضوحٍ .. أَرى ٱلكُرْسِيَّ وَقَدْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ مَلابِسي ، وَأَرى خِزانةَ ٱلمَلابِسِ ٱلكَبيرةَ في رُكْنِ ٱلحُجْرةِ . وَنَظَرْتُ إِلى خِزانةِ ٱلمَلابِسِ لِفَتْرةٍ طَويلةٍ ، وَفَجْأَةً بَدَأَ بابُ ٱلخِزانةِ يَنْفَتِحُ بِهُدوءٍ . اِنْفَتَحَ قَليلًا في أَوَّلِ ٱلأَمْرِ ، ثُمَّ اتَّسَعَتِ ٱلفُرْجةُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتّى انْفَتَحَ ٱلبابُ عَلى مِصْراعَيْهِ .



إنَّني أَحْتَفِظُ بِمَلابِسي في ٱلخِزانَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ٱلكَثيرُ مِنَ ٱلمَلابِسِ لِعَدَمِ حاجَتي إِلَيْها .. لَمْ يَكُنْ لي غَيْرُ عَدَدٍ قَليلٍ مِنَ ٱلقُمْصانِ وَبَنْطَلونَيْنِ ، وَحُلَّتَيْنِ ، وَمِعْطَفٍ قَديمٍ .

كانَ بابُ ٱلخِزانَةِ مَفْتوحًا عَلى اِتِّساعِهِ ، وَلِذٰلِكَ كانَ في اسْتِطاعَتي أَنْ أَرى ما بِداخِلِها . رَأَيْتُ قُمْصاني وَ حُلَّتَيَّ وَٱلمِعْطَفَ ٱلقَديمَ . وَإِذا بِمِعْطَفي يَبْدَأُ في ٱلحَرَكَةِ ، وَيَخْطو خارِجَ خِزانَةِ ٱلمَلابِسِ ، وَيَتَوَقَّفُ أَمامَ بابِ ٱلخِزانَةِ . قُلْتُ بِبُطْءٍ : « **بولْدي !** »

لَمْ يَسْتَمِعْ لي بولْدي (أَوْ بِٱلأَحْرى ٱلمِعْطَفُ) بَلْ وَقَفَ هُناكَ كَشَخْصٍ .. شَخْصٍ بِدونِ رَأْسٍ أَوْرِجْلَيْنِ أَوْ يَدَيْنِ ، ثُمَّ بَدَأَ « يَمْشي » نَحْوي ، وَبَعْدَ بِضْعِ خُطُواتٍ هادِئَةٍ ، رَفَعَ « ذِراعَهُ » وَهَزَّها في اتِّجاهي .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِٱلغَضَبِ نَحْوَ بولْدي ؛ فَقُلْتُ صائِحًا : « لَقَدْ نالَني ما يَكْفيني مِنْ أَلاعيبِكَ السَّخيفَةِ ! وَسَأُنْزِلُ بِكَ ٱلعِقابَ عَلى فَعْلَتِكَ هٰذِهِ ؛ سَأَصْرِفُكَ ، وَإِذا رَفَضْتَ أَنْ تُشارِكَني اللُّعْبَةَ ٱلمُعْتادَةَ ؛ فَسَأُضْطَرُّ إِلى عِقابِكَ . » وَمِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَأَمْسَكْتُ بِالقابِسِ الَّذي كانَ مِنَ السَّهْلِ رُؤْيَتُهُ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ ، وَرَفَعْتُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : « أَلا تَرى ؟ سَأَضَعُهُ ٱلآنَ في ٱلمَقْبِسِ ؛ وَبِذٰلِكَ سَتَنْصَرِفُ . »

تَحَرَّكَ ٱلمِعْطَفُ فَجْأَةً نَحْوي ، وَامْتَدَّتْ ذِراعٌ لِتُمْسِكَ بِالقابِسِ وَتَنْتَزِعَهُ

مِنْ يَدي ؛ فانْزَلَقَ السِّلْكُ مِنْ خِلالِ أَصابِعي ، وَسَقَطَ ٱلمِصْباحُ عَلى ٱلأَرْضِ .

نَهَضْتُ وَقَدِ اسْتَبَدَّ بِيَ ٱلغَضَبُ . فَأَسْقَطَ ٱلمِعْطَفُ ٱلقابِسَ ، وَأَسْرَعَ إِلى داخِلِ ٱلخِزانَةِ ، وَانْغَلَقَ بابُ ٱلخِزانَةِ مُحْدِثًا صَوْتًا مُرْتَفِعًا .

اِلْتَقَطْتُ ٱلمِصْباحَ وَأَعَدْتُهُ إِلى مِنْضَدَةِ السَّريرِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلى ٱلخِزانَةِ ، وَفَتَحْتُها قَليلًا . أَدْخَلْتُ يَدي وَتَلَمَّسْتُ المَلابِسَ ، وَكانَ مِعْطَفي في مَكانِهِ ٱلمُعْتادِ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ ، فَقَدْ كانَ ناعِمَ ٱلمَلْمَسِ ، خالِيًا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ . وَجَذَبْتُ بابَ ٱلخِزانَةِ وَفَتَحْتُهُ ثُمَّ نَظَرْتُ في الدّاخِلِ – داخِلِ ٱلمِعْطَفِ – فَوَجَدْتُهُ خالِيًا ، خالِيًا تَمامًا .. ما مِنْ إِشارَةٍ أَوْ عَلامَةٍ أَوْ أَثَرٍ يَدُلُّ عَلى بولْدي .

قُلْتُ : « فَهِمْتُ ٱلآنَ .. تُريدُ مِنّي أَنْ أُغْلِقَ السَّتائِرَ قَبْلَ أَنْ نَلْعَبَ . » ذَهَبْتُ إِلى النّافِذَةِ ، وَنَظَرْتُ لِلْخارِجِ ، وَكانَتِ ٱلقِطَّةُ ما زالَتْ هُناكَ تَموءُ وَتَبْكي مِثْلَ طِفْلَةٍ صَغيرَةٍ ؛ صِحْتُ : « هِش » ؛ وَلٰكِنَّها لَمْ تَكُفَّ عَنِ ٱلبُكاءِ . وَكُنْتُ قَدْ أَوْشَكْتُ أَنْ أُسْدِلَ السَّتائِرَ ، وَلٰكِنَّني لاحَظْتُ شَيْئًا ! كانَ هُناكَ شَخْصٌ يَقِفُ خَلْفَ السِّتارَةِ ، وَكُنْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى بِوُضوحٍ هَيْئَةَ هٰذا الشَّخْصِ .. وَحاوَلْتُ أَنْ أُزيحَ السِّتارَةَ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ وَ لَمْ يَدَعْني هٰذا الشَّخْصُ أَقومُ بِذٰلِكَ . وَصِحْتُ بِغَضَبٍ : « يَكْفي هٰذا » ، وَرَجَعْتُ

إلى آلفِراشِ ، فَتحرَّكَتِ السِّتارةُ لِتُغطِّـي النّافِذةَ ، فَأَصْبَحَتِ آلحُجْرةُ في تِلْكَ اللَّحْظةِ في ظَلامٍ دامِسٍ ، وَقُلْتُ : « إذًا ، فَأَنْتَ تُريدُ اللَّعِبَ آلآنَ » ؛ مامِنْ إجابةٍ – بِطَبيعةِ آلحالِ – غَيْرُ مُواءِ آلقِطَّةِ خارِجَ **النّافِذةِ** .

مَدَدْتُ يَدي نَحْوَ آلقابِسِ الَّذي كانَ مُلْقًى على آلأَرْضِ ، فَوَجَدْتُهُ وَ أَوْلَجْتُهُ في آلمَقْبِسِ ، وَأَضاءَتِ آلحُجْرةُ وَكانَ بُولْدي قَدِ اخْتفى .

مَرَّةً أُخرى بَقِيتُ مُسْتَيْقِظًا لِفَتْرةٍ طَويلةٍ . لَقَدْ لَعِبْنا مُباراةً سَيِّئةً ، سَيِّئةً لِلْغايةِ . وَفي أَثْناءِ رُقادي في آلفِراشِ كُنْتُ أَسْمَعُ دَقّاتِ قَلْبي آلعَنيفةَ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ أَيْضًا مُواءَ آلقِطَّةِ بِآلخارِجِ ، الَّتي لَمْ تَتَوَقَّفْ عَنِ آلمُواءِ ، وَكانَتْ تَبْكي كَطِفْلةٍ طَوالَ اللَّيْلِ .

اَلفَصْلُ آلخامِسُ

مُبارَياتٌ جَيِّدةٌ وَأُخرى سَيِّئةٌ

في آلأَعْوامِ آلخَمْسةِ آلماضيةِ ، وَحَتّى آلوَقْتِ آلحاضِرِ ، داوَمْتُ عَلى لَعِبِ آلمُبارَياتِ مَعَ بُولْدي . وَقَدْ لَعِبْنا كُلَّ لَيْلةٍ مُبارَياتٍ ، بَعْضُها جَيِّدٌ ، وَبَعْضُها **سَيِّئٌ** . وَقَدْ وَصَفْتُ مِنْ قَبْلُ آلمُبارَياتِ آلجَيِّدةَ ، وَكانَتْ مُبارَياتٍ بَسيطةً لِلْغايةِ وَمُمْتِعةً دائِمًا . وَأَنا أَشْعُرُ بِالسَّعادةِ عِنْدَما أَلْعَبُ مُبارَياتٍ جَيِّدةً ، وَأَشْعُرُ بِالتَّعاسةِ عِنْدَما أَلْعَبُ مُبارَياتٍ سَيِّئةً .

قَدْ تَتساءَلُ عَنْ أَوْجُهِ آلخِلافِ بَيْنَ آلمُباراةِ « آلجَيِّدةِ » وَآلمُباراةِ « السَّيِّئةِ » ! لَقَدْ سَبَقَ أَنْ وَصَفْتُ بَعْضَ آلمُبارَياتِ السَّيِّئةِ ، وَلَعَلَّكَ لاحَظْتَ أَنَّهُ لَيْسَ في آلمُباراةِ السَّيِّئةِ قَواعِدُ ، بَلْ يُمْكِنُ لِأَيِّ شَـيْءٍ أَنْ يَحْدُثَ . وَهُناكَ شَـيْءٌ آخَرُ ، فَأَنا عِنْدَما أَلْعَبُ مُباراةً جَيِّدةً لا أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ قَطُّ ، وَلٰكِنَّني عِنْدَما أَلْعَبُ مُباراةً سَيِّئةً يَمْتَلِئُ قَلْبي رُعْبًا ، فَالْمُبارَياتُ السَّيِّئةُ أَشْبَهُ ماتَكونُ بِنَذيرِ الشَّرِّ .

وَأَوَدُّ هُنا أَنْ أَصِفَ بَعْضَ آلمُبارَياتِ الَّتي خُضْتُها في السَّنَواتِ آلخَمْسِ آلماضيةِ . في بِدايةِ هٰذِهِ آلمُبارَياتِ (أَيْ في آلوَقْتِ الَّذي لَعِبْتُ فيهِ مُباراةَ الشِّطْرَنْجِ الَّتي وَصَفْتُها مِنْ قَبْلُ) لَمْ تَكُنِ آلمُبارَياتُ الَّتي لَعِبْناها سَيِّئةً ، غَيْرَ أَنَّهُ مَعَ مُرورِ آلوَقْتِ أَصْبَحْنا نَلْعَبُ مُباراةً جَيِّدةً في إِحْدى اللَّيالي ،

تَتلوها مُباراةٌ سَيِّئةٌ في اللَّيْلةِ التّالِيةِ . وَاسْتَمَرَّ هٰذا ٱلحالُ حَتَّى السَّنَتَيْنِ ٱلأخيرَتَيْنِ ؛ وَهُنا بَدَأَ ٱلقَلَقُ يُساوِرُني .. وَأَصْبَحَ ٱلقَلَقُ وَٱلخَوْفُ يَمْلآنِ حَياتي دائِمًا .

لِماذا بَدَأَ بُولْدي يَلْعَبُ مُبارَياتٍ سَـيِّئةً ؟ كَثيرًا ماسَأَلْتُ نَفْسي هٰذا السُّؤالَ ؛ وَلَمْ أَسْتَطِعِ التَّوَصُّلَ إلى سَبَبٍ يُفَسِّرُ لِي ٱلأَمْرَ . لَقَدْ فَكَّرْتُ في عِدَّةِ أَسْبابٍ مُخْتَلِفةٍ ، وَلَعَلَّكَ تَهْتَدي بِنَفْسِكَ إلى بَعْضِها ، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تُفَكِّرَ في شَيْءٍ ما ، ثُمَّ تَقولَ : « هٰذا هُوَ السَّبَبُ . »
كُنْتُ أَعْتَقِدُ في أَوَّلِ ٱلأَمْرِ أَنَّ بُولْدي كانَ غَيورًا ، أَيْ أَنَّهُ يَغارُ إذا ما كَسَبْتُ إحْدى ٱلمُبارَياتِ ؛ وَلِذٰلِكَ كُنْتُ أَدَعُهُ يَكْسِبُ طَوالَ ٱلوَقْتِ ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذٰلِكَ كانَ يُريدُ أَنْ يَلْعَبَ مُبارَياتٍ سَيِّئةً .

لَعَلَّهُ كانَ يُريدُ أَنْ يُعاقِبَني ! وَلٰكِنْ ماذا فَعَلْتُ ؟ ! فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ كَثيرًا . قَدْ يَكونُ بُولْدي غاضِبًا لِأَنَّني أَخْبَرْتُ لِويس عَنْهُ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أُخْبِرْ لِويس كُلَّ شَيْءٍ ، فَكُلُّ ما قُلْتُهُ إنَّ بُولْدي كانَ إحْدى الشَّخْصِيّاتِ في إحْدى قِصَصي ٱلبوليسِيَّةِ ، وَلَمْ أَقُلْ إنَّهُ شَبَحٌ ، أَوْشَبَحٌ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَالضَّوْضاءَ . وَلاتَنْسَ « أَيُّها ٱلقارِئُ » أَنَّ ٱلمُبارَياتِ السَّيِّئةَ كانَتْ قَدْ بَدَأَتْ قَبْلَ أَنْ أَقولَ شَيْئًا لِلويس .

مَنْ يَكونُ بُولْدي ؟ كَثيرًا ما فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ أَيْضًا ، وَلَوْ عَلِمْتُ

ٱلإجابةَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ ، لَكانَ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ أَتَوَصَّلَ إلى إجابةٍ عَنْ سُؤالي ٱلأَوَّلِ عَنْ سَبَبِ رَغْبَتِهِ في لَعِبِ مُبارَياتٍ سَيِّئةٍ . وَلٰكِنَّني لا أَسْتَطيعُ التَّوَصُّلَ لِلْإجابةِ ، فَكَثيرًا ماكُنْتُ أَتَساءَلُ :هَلْ بُولْدي شَبَحُ زَوْجَتي ٱلمَيِّتةِ ؟ هَلْ بُولْدي هُوَ جولي حَقيقةً ؟ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلإجابةَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ : « لا » ، فَلَمْ يُعْطِني بُولْدي أَيَّةَ إشارةٍ أَوْ عَلامةٍ عَلى ٱلإطْلاقِ . فَهُناكَ – مَثَلًا – صورةٌ لجولي مُعَلَّقةٌ على حائِطِ حُجْرةِ نَوْمي ، وَكانَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ يَهُزَّها أَوْ يُحَرِّكَها ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ قَطُّ . لَقَدِ احْتَفَظْتُ بِأَحَدِ فَساتينِ جولي ، وَهُوَ فُسْتانُ سَهْرةٍ جَميلٌ ، اِحْتَفَظْتُ بِهِ في خِزانةِ مَلابِسي ، وَلَمْ يَلْمِسْهُ بُولْدي قَطُّ . بَلْ كَثيرًا ماكانَ يُخْرِجُ مَلابِسي أَنا مِنَ ٱلخِزانةِ ، وَلَوْ كانَ بُولْدي هُوَ جولي لَاسْتَطاعَ أَوِ اسْتَطاعَتْ بِكُلِّ سُهولةٍ أَنْ تُعْطِيَني إشارةً تَدُلُّ عَلى ذٰلِكَ . وَتَذَكَّرْ « أَيُّها ٱلقارِئُ » أَنَّ جولي كانَتْ تُحِبُّني كَما كُنْتُ أُحِبُّها تَمامًا . مِنْ أَجْلِ هٰذا كُلِّهِ لايُمْكِنُ أَنْ يَكونَ بُولْدي هُوَ جولي ، وَمَعَ ذٰلِكَ لا يُمْكِنُني ٱلجَزْمُ بِذٰلِكَ .
هَلْ بُولْدي مُجَرَّدُ جُزْءٍ مِنْ خَيالي ؟ كَلّا ، وَأَلْفُ كَلّا ! وَما السَّبَبُ ؟ إنَّ كُلَّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ تَحْدُثُ فِعْلًا ، فَأَنا لا أَتَخَيَّلُها ، بَلْ هِيَ حَقائِقُ ، فَبُولْدي مَوْجودٌ في ٱلواقِعِ .
شَيْئًا فَشَيْئًا كانَتِ ٱلمُبارَياتُ السَّيِّئةُ الَّتي كُنْتُ أَلْعَبُها مَعَ بُولْدي تَزْدادُ عَدَدًا ، ثُمَّ بَدَأَ ٱلقَلَقُ يُساوِرُني . كُنْتُ أَوَدُّ فَقَطْ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ لَعِبِ

مُبارَياتٍ جَيِّدةٍ . كَيْفَ يُمْكِنُني تَجَنُّبُ ٱلْمُبارَياتِ السَّيِّئةِ ؟ حاوَلْتُ تَجَنُّبَها بِعِدَّةِ وَسائِلَ ، سأَصِفُ لَكَ بَعْضَها .

كُنْتُ أَعْرِفُ دائِمًا مَتَى نَكونُ عَلَى وَشْكِ لَعِبِ مُباراةٍ سَيِّئةٍ ، إذْ كانَ في اسْتِطاعَتي أَنْ أَشْعُرَ – مُقَدَّمًا – بِنَذيرِ الشَّرِّ حَتَّى قَبْلَ بَدْءِ ٱلْمُباراةِ . وَكانَ مِنَ ٱلأَشْياءِ الَّتي حاوَلْتُها أَنَّني كُنْتُ أَقومُ بِجَذْبِ ٱلقابِسِ ، ثُمَّ إِدْخالِهِ في ٱلْمَقْبِسِ بِسُرْعةٍ ؛ وَبِذٰلِكَ لاتَسْنَحُ ٱلْفُرْصةُ لِبُولْدي أَنْ يَلْعَبَ ، إذْ يَنْصَرِفُ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَرْجِعَ ٱلقابِسُ إلى مَكانِهِ في ٱلْمَقْبِسِ .

كانَتْ مُفاجَأةً بِالنِّسْبةِ لِبُولْدي في أَوَّلِ مَرَّةٍ اِسْتَخْدَمْتُ فيها هٰذا ٱلأُسْلوبَ ، فَقَدْ كانَ أُسْلوبًا ناجِحًا تَمامًا . وَلٰكِنَّهُ ٱلآنَ لايُعْطيني أَيَّةَ فُرْصةٍ لِاسْتِخْدامِهِ مَرَّةً أُخْرى ، فَهُوَ يَعْلَمُ – مُقَدَّمًا – مَتى سَأَلْجَأُ إلَيْهِ .

حاوَلْتُ طَريقةً أُخْرى (لِتَجَنُّبِ ٱلْمُبارَياتِ السَّيِّئةِ) .. تَذَكَّرْ أَنَّ بُولْدي يَسْكُنُ حُجْرةَ نَوْمي فَقَطْ ، وَلايَسْكُنُ أَيَّ جُزْءٍ آخَرَ في ٱلْمَنْزِلِ أَبَدًا ، لِذٰلِكَ جَرَّبْتُ النَّوْمَ في حُجُراتِ ٱلْمَنْزِلِ ٱلأُخْرى ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ أَسْتَطِعْ عَنْ طَريقِ هٰذِهِ ٱلْوَسيلةِ تَجَنُّبَ لَعِبِ مُباراةٍ سَيِّئةٍ !

وَفي إحْدى اللَّيالي كُنْتُ نائِمًا في حُجْرةِ مَكْتَبي ، وَرَأَيْتُ حُلْمًا غَريبًا .. رَأَيْتُ أَنَّني أَنامُ في حُجْرةِ مَكْتَبي ، وَحَلَمْتُ أَنَّني أَنْهَضُ مِنَ النَّوْمِ ، وَأَذْهَبُ إلى حُجْرةِ نَوْمي ، ثُمَّ أَجْلِسُ في سَريري ، وَأَقْرَأُ كِتابًا

عَلى ضَوْءِ المِصْباحِ . وَرَأَيْتُ في ٱلْحُلْمِ أَنَّني أَجْذِبُ القابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ .. ثُمَّ فَجْأةً أَسْتَيْقِظُ ! لَمْ أَكُنْ في حُجْرةِ مَكْتَبي حينَ اسْتَيْقَظْتُ ، بَلْ كُنْتُ في حُجْرةِ نَوْمي ، أَميلُ بِجِسْمي عَلى حافَةِ السَّريرِ ، وَكانَ ٱلقابِسُ في يَدي .. لَقَدْ مَشَيْتُ وَأَنا نائِمٌ . فَعَلَها بُولْدي ، لَقَدِ اسْتَدْرَجَني – أَثْناءَ ٱلْحُلْمِ – إلى حُجْرةِ النَّوْمِ .

جَرَّبْتُ شَيْئًا آخَرَ .. حاوَلْتُ أَلَّا أَلْعَبَ ٱلْمُباراةَ ؛ فَفي إحْدى اللَّيالي جَلَسْتُ في ٱلْفِراشِ – وَالنُّورُ مُضاءٌ – ثُمَّ أَطْفَأْتُ النُّورَ بِاسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ ، وَطِبْقًا لِلْقاعِدةِ لَمْ يَظْهَرْ بُولْدي . وَاسْتَغْرَقْتُ في النَّوْمِ بِشَكْلٍ طَبيعِيٍّ ، وَبَعْدَ مُرورِ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ اسْتَيْقَظْتُ فَجْأةً وَضَغَطْتُ عَلى مِفْتاحِ النُّورِ .. لا أَعْرِفُ – حَتَّى ٱلآنَ – لِمَ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ؟ ! وَلٰكِنْ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ كُنْتُ أَشْعُرُ وَكَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَقومَ بِذٰلِكَ ، ثُمَّ جَذَبْتُ ٱلقابِسَ خارِجَ ٱلمَقْبِسِ ، وَهٰكَذا بَدَأَتِ ٱلْمُباراةُ .. حَدَثَ هٰذا عِدَّةَ مَرَّاتٍ .

قَدْ تَسْأَلُني : لِمَ لاتَبيعُ ٱلْمَنْزِلَ وَتَرْحَلُ ؟ ! لَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسي هٰذا السُّؤالَ أَيْضًا .. في حَقيقةِ ٱلأَمْرِ لا أَسْتَطيعُ . لَقَدْ فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ كَثيرًا ، وَلٰكِنِّي لا أَسْتَطيعُ ٱلقِيامَ بِذٰلِكَ .. وَلٰكِنْ جَرَّبْتُ شَيْئًا آخَرَ ، لَقَدْ تَرَكْتُ ٱلمَنْزِلَ عِنْدَما حَلَّ اللَّيْلُ وَذَهَبْتُ إلى فُنْدُقٍ . وَلٰكِنْ حينَ كُنْتُ أَفْعَلُ ذٰلِكَ لَمْ أَكُنْ أَسْتَطيعُ النَّوْمَ ، وَدائِمًا كُنْتُ أُغادِرُ ٱلفُنْدُقَ أَثْناءَ اللَّيْلِ ، وَأَقومُ بِتَسْديدِ ٱلفاتورةِ – مَثَلًا – في السَّاعةِ الرَّابِعةِ صَباحًا ، ثُمَّ أَتَوَجَّهُ لِلْمَنْزِلِ .

لَيسَ ٱلأَمْرُ سَهْلًا أَنْ تُغادِرَ ٱلفُنْدُقَ في ٱلرّابِعةِ صَباحًا ! (يُمْكِنُكَ أَنْ تُجَرِّبَ وَتَتَحَقَّقَ بِنَفْسِكَ مِنْ ذٰلِكَ !) وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَتَوَجَّهُ إلى السَّريرِ ، وَأَلْعَبُ مُباراةً مَعَ بُولْدي . لَعَلَّكَ تَرى ٱلآنَ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ – أَبَدًا – أَنْ أَتَجَنَّبَ ٱلاشْتِراكَ في مُباراةٍ ، فَدائِمًا يَجِدُ بُولْدي وَسيلةً ما يَسْتَدْرِجُني بِها ، وَيَعودُ بي إلى حُجْرةِ نَوْمي .

مُنْذُ حَوالى سَنةٍ تَقْريبًا ، كُنْتُ وَبُولْدي قَدْ لَعِبْنا مُبارياتٍ سَيِّئةً عَديدةً ، وَلٰكِنْ في كُلِّ تِلْكَ ٱلمُبارَياتِ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ لَمَسَني بُولْدي . لَقَدْ حاوَلْتُ ٱلإمْساكَ بِبَعْضِ ٱلأَشْياءِ ، وَحاوَلْتُ « لَمْسَهُ » عَنْ طَريقِها ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَلْمِسْني قَطُّ ، وَكانَ ذٰلِكَ يُمَثِّلُ قانُونًا . وَعَلى ذٰلِكَ ، عِنْدَما لَمَسَني بُولْدي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، لا أَسْتَطيعُ وَصْفَ ٱلفَزَعِ وَالرُّعْبِ ٱلَّذي اسْتَبَدَّ بي حينَذاكَ .

لَقَدْ حَدَثَ كُلُّ ذٰلِكَ في إحْدى اللَّيالي مُنْذُ سَنةٍ تَقْريبًا ، عِنْدَما ذَهَبْتُ إلى ٱلفِراشِ في السّاعةِ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّها سَتَكونُ لَيْلةً سَيِّئةً وَلَيْسَتْ طَيِّبةً .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ ، وَقَرَأْتُ لِساعاتٍ طِوالٍ لِأَنَّني لَمْ أَكُنْ أُريدُ أَنْ أُخْرِجَ القابِسَ مِنْ مَقْبِسِهِ ، وَلٰكِنَّني شَعَرْتُ في النِّهايةِ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلنَّوْمِ ، وَبِطَبيعةِ ٱلحالِ لَمْ أَسْتَطِعِ النَّوْمَ . مِلْتُ عَلى جانِبِ السَّريرِ بِطَريقَتي ٱلمُعْتادةِ ، وَجَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَفي ٱلحالِ كانَتْ عَيْنايَ

مَفتوحَتَيْنِ عَلى اتِّساعِهِما ، وَكُنْتُ مُسْتَيْقِظًا تَمامًا . كانَ بُولْدي مَوْجودًا ، وَكُنّا مُسْتَعِدَّيْنِ لِلْمُباراةِ . وَفي ٱلمُبارَياتِ السَّيِّئةِ لايُعْطي بُولْدي – عادةً – إشارةً تَدُلُّ – بِوُضوحٍ – عَلى وُجودِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ في تِلْكَ اللَّيْلةِ أَعْطى – في ٱلحالِ – إشارةً واضِحةً تَمامًا .

اِسْتَلْقَيْتُ في ٱلفِراشِ مَذْعورًا ، وَانْتَظَرْتُ ؛ فَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ لِلَحْظةٍ ، ثُمَّ وَجَدْتُ السَّريرَ يَتَحَرَّكُ . وَلَمْ يَكُنْ بُولْدي يَهُزُّ السَّريرَ ، بَلْ كانَ يَرْفَعُهُ بَعيدًا عَنِ ٱلأَرْضِيَّةِ ! كانَ السَّريرُ يَرْتَفِعُ في ٱلهَواءِ . مِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أَلْمِسَ أَرْضِيَّةَ ٱلحُجْرةِ . كانَ السَّريرُ – عَلى ما أَعْتَقِدُ – بَعيدًا عَنْها بِحَوالى ثَلاثِ أَقْدامٍ . ثُمَّ بَدَأَ السَّريرُ يَدورُ ، وَأَخَذَ يَدورُ وَيَدورُ – بِبُطْءٍ أَوَّلَ ٱلأَمْرِ – ثُمَّ بِسُرْعةٍ .. وَبِسُرْعةٍ أَكْبَرَ ! وَفَجْأَةً تَوَقَّفَ عَنِ الدَّوَرانِ في ٱلهَواءِ ، وَوَقَعَ بِسُرْعةٍ عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ ..

لَمَسَ السَّريرُ ٱلأَرْضِيَّةَ بِخِفَّةٍ ، ثُمَّ اتَّخَذَ مَكانَهُ ٱلمُعْتادَ : رَأْسُ السَّريرِ مُلاصِقٌ لِلْحائِطِ ، وَٱلمِنْضَدةُ بِجِواري . وَحاوَلْتُ أَنْ أَصِلَ إلى ٱلقابِسِ ، فَتَحَسَّسْتُ ٱلأَرْضِيَّةَ بِأَصابِعي وَوَجَدْتُهُ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أُعيدَهُ إلى مَكانِهِ في ٱلمَقْبِسِ ، فَإذا بِبُولْدي يَضْرِبُ بِشِدَّةٍ عَلى يَدي ! أَسْقَطْتُ ٱلقابِسَ بِفَزَعٍ ، وَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلُ أَنْ لَمَسَني بُولْدي ، وَلٰكِنَّهُ ٱلآنَ صَفَعَني !

اسْتَلْقَيْتُ عَلى ظَهْري في الفِراشِ ، وَكانَ الهُدوءُ يَسودُ الحُجْرَةَ : السَّريرُ لايَتَحَرَّكُ ، وَإذا بي أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فَوْقَ رَأْسي ، شَيْءٍ أَشْبَهَ بِطائِرٍ !

وَضَعْتُ يَدي عَلى رَأْسي .. مامِنْ شَيْءٍ ! ثُمَّ شَعَرْتُ بِشَيْءٍ يَلْمِسُ شَعْري بِلُطْفٍ ؛ مِثْلِ يَدٍ ناعِمَةٍ ، كانَتْ أَصابِعُها تَتَخَلَّلُ شَعْري .

قَفَزْتُ مُبْتَعِدًا عَنِ السَّريرِ ، وَجَرَيْتُ صَوْبَ الجانِبِ الآخَرِ لِلْحُجْرَةِ ، فَسَمِعْتُ وَقْعَ خُطُواتٍ خَلْفي ؛ فاسْتَدَرْتُ .. كانَ بُولْدي خَلْفي . دُرْتُ حَوْلَ نَفْسي ، ثُمَّ دُرْتُ مَرَّةً أُخْرى ، وَلٰكِنَّ بُولْدي كانَ دائِمًا خَلْفي ، وَإذا بِهِ يَصْفَعُني عَلى وَجْهي ! ثُمَّ بَدَأَ يَقْرُصُني ، بِلُطْفٍ في بادِئِ الأَمْرِ : قَرْصَةً صَغيرَةً في الوَجْهِ ، قَرْصَةً ناعِمَةً ، وَبَدَأَ بَعْدَ ذٰلِكَ يَقْرُصُ بِشِدَّةٍ ذِراعي وَرِجْلي . كُنْتُ أَرْكُلُ بِقَدَمي وَأَصيحُ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ إيقافَهُ ؛ فَقَفَزْتُ عائِدًا إلى السَّريرِ ، وَ .. لَنْ تُصَدِّقَ ماحَدَثَ .. عَضَّ بُولْدي وَجْهي بِشِدَّةٍ ! صَرَخْتُ مُتَأَلِّمًا ؛ وَمِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَتَحَسَّسْتُ الأَرْضِيَّةَ .. تَحَسَّسْتُها بِقَلَقٍ ، باحِثًا عَنِ القابِسِ ، وَأَخيرًا كانَتْ يَدي تَقْبِضُ عَلَيْهِ .

حاوَلْتُ أَنْ أَبْحَثَ عَنِ المَقْبِسِ .. تَحَسَّسْتُ الحائِطَ بِإِصْبَعي .. لَمْ يُمَكِّنِّي الخَوْفُ وَالفَزَعُ مِنَ العُثورِ عَلى مَكانِهِ . كُنْتُ أَصيحُ : « ياإِلٰهي ! أَيْنَ هُوَ ؟ أَيْنَ المَقْبِسُ ؟ » كانَتْ هُناكَ قُوَّةٌ جَبّارَةٌ تُحاوِلُ انْتِزاعَ القابِسِ

مِنْ يَدي ، وَلٰكِنِّي كُنْتُ قَوِيًّا بِخَوْفي ! .. كُنْتُ أَقْوى مِنْ بُولْدي . دَفَعْتُ القابِسَ – بِكُلِّ قُوَّتي – داخِلَ المَقْبِسِ ؛ فَغَمَرَ الضَّوْءُ الحُجْرَةَ . وَفَجْأَةً أَصْبَحْتُ وَحيدًا ؛ فَتَنَفَّسْتُ الصُّعَداءَ ، بَيْنَما قَلْبي كانَ يَدُقُّ بِشِدَّةٍ ، وَجِسْمي يَرْتَعِدُ مِنَ الفَزَعِ وَالخَوْفِ .

كانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَصيبَةً لِلْغايَةِ ، وَكانَتْ هٰذِهِ هِيَ المَرَّةَ الأُولى الَّتي لَمَسَني فيها بُولْدي ، وَبَعْدَها لَمَسَني كَثيرًا .. أَحْيانًا بِأَصابِعِهِ ، وَبِطَريقَةٍ ناعِمَةٍ ، وَأَحْيانًا أُخْرى كانَ يَقْرُصُني أَوْيَصْفَعُني أَوْيَرْكُلُني .

لَمْ تَعُدِ المُباراةُ مُجَرَّدَ لُعْبَةٍ سَيِّئَةٍ ، بَلْ تَحَوَّلَتْ إلى لُعْبَةٍ خَطِرَةٍ ! كَما ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ قَبْلُ ، أَيُّها القارِئُ ، بَدَأْنا نَلْعَبُ مَعًا مُبارَياتٍ سَيِّئَةً ، تَزْدادُ سوءًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، غَيْرَ أَنَّ عَدَدَ المُبارَياتِ السَّيِّئَةِ كانَ مُساوِيًا لِعَدَدِ المُبارَياتِ الجَيِّدَةِ .

كانَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ مِنْ سَنَةٍ مَضَتْ ، وَلٰكِنْ بَعْدَ أَنْ لَمَسَني بُولْدي – لِأَوَّلِ مَرَّةٍ – أَصْبَحَ الأَمْرُ مُخْتَلِفًا بَعْضَ الشَّيْءِ ، فَلَمْ يَحْدُثْ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ لَعِبْنا مُباراةً واحِدَةً جَيِّدَةً . فَفي السَّنَةِ الماضِيَةِ لَمْ نَكُنْ نَلْعَبُ إلّا مُبارَياتٍ سَيِّئَةً كُلَّ لَيْلَةٍ ! كانَتْ كُلُّ مُبارَياتِنا سَيِّئَةً ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَتِمَّ بِطَريقَةٍ واحِدَةٍ .

لَقَدْ أَصْبَحَ بُولْدي شَخْصًا شِرِّيرًا تَمامًا ، وَلايُظْهِرُ لي مِنْ شَخْصِيَّتِهِ

إلّا جانِبَها الشرّير ، وأصبحتْ حُجرةُ نَوْمي مَكانًا شِرّيرًا ، يَمتلِئُ بالشرّ نَهارًا ، حَتّى حينَ لايكونُ بُولْدي مَوْجودًا . كانَ مَكانًا شِرّيرًا طَوالَ الوَقْتِ ! لٰكِنْ ما العَمَلُ ؟ ! لَسْتُ أدْري ! بِبَساطةٍ لا أدْري !

حَتّى شَهْرٍ مَضى ، كُنْتُ على مايُرامُ طَوالَ النَّهارِ . كُنْتُ أذْهَبُ إلى حُجْرةِ مَكْتَبي كُلَّ يَوْمٍ وَأكْتُبُ ، وَ كانَ هٰذا يَشْغَلُ ذِهْني عَنْ أمْرِ بُولْدي ، وَكُنْتُ أشْغَلُ تفْكيري في البَحْثِ عَنْ مُغامَراتٍ جَديدةٍ لِفيلبِرْت وايْلي ، وَكانَ هٰذا مَصْدَرَ سَعادَتي .

وَلٰكِنَّني لَمْ أسْتَطِعْ أنْ أعْمَلَ طيلةَ الشَّهْرِ الماضي . وَمازِلْتُ أتَوَجَّهُ لِحُجْرةِ مَكْتَبي كُلَّ يَوْمٍ ، وَلٰكِنَّني أجْلِسُ إلى مَكْتَبي ، ثُمَّ أنْظُرُ خارِجَ النّافِذةِ .. لا أكْتُبُ شَيْئًا .. إنَّني أنامُ قَليلًا ، وَآكُلُ قَليلًا جِدًّا . أصْبَحْتُ نَحيفًا وَضَعيفًا .. وَلٰكِنَّني أكْتُبُ اليَوْمَ .. إنَّني الآنَ مُنْهَمِكٌ في كِتابةِ هٰذهِ الكَلِماتِ . إنَّني أكْتُبُ بِسُرْعةٍ ، قَبْلَ أنْ يَفوتَ الأوانُ .. نَعَمْ يَجِبُ أنْ أكْتُبَ هٰذهِ القِصَّةَ الّتي تَحْكي حَياتي مَعَ بُولْدي ، قَبْلَ أنْ يَفوتَ الأوانُ .

قَدْ تَسْأَلُ : لِمَ لاتُخْبِرُ لويس بِهٰذا الأمْرِ ؟ فَما زالَ لِويس يَزورُني كُلَّ يَوْمِ أرْبِعاءَ ، وَ مازِلْنا نَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ ، وَلٰكِنَّني لا ألْعَبُ الآنَ بِمَهارةٍ .. وَهُوَ دائِمًا يَهْزِمُني . إنَّني أشْعُرُ دائِمًا بِالتَّعَبِ وَالقَلَقِ .

في الأُسْبوعِ الماضي سَأَلَني لِويس : « ماذا بِكَ يا وِلْيَم ؟ إنَّني لَمْ

أعُدْ أفْهَمُكَ . إنَّكَ مَريضٌ ؛ وَلا بُدَّ لَكَ مِنْ عَرْضِ نَفْسِكَ عَلى طَبيبٍ . إنَّني قَلِقٌ عَلَيْكَ ، وَإذا لَمْ تَسْتَدْعِ طَبيبًا ، فَسأسْتَدْعيهِ بِنَفْسي . »

لا أسْتَطيعُ – بِطَبيعةِ الحالِ – أنْ أسْمَحَ لِلويس بِاسْتِدْعاءِ الطَّبيبِ ؛ فَقُلْتُ : « اِسْمَعْ يا لِويس .. أعْرِفُ أنَّني لَسْتُ عَلى مايُرامُ ، وَلٰكِنَّ حالي سَيَتَحَسَّنُ قَريبًا . إنَّني مُنْهَمِكٌ الآنَ في كِتابةِ قِصّةٍ غَريبةٍ جِدًّا عَنْ فيلبِرْت وايْلي ، وَسَأتَحَسَّنُ – بِالتَّأْكيدِ – عِنْدَ انْتِهائي مِنْ كِتابَتِها . أعْرِفُ ذٰلِكَ يَقينًا ، وَلِذٰلِكَ أرْجوكَ ألّا تَسْتَدْعِيَ طَبيبًا . أتَعِدُني بِذٰلِكَ ؟ »

قالَ لِويس : « حَسَنًا يا وِلْيَم ، أعِدُكَ بِذٰلِكَ . »
إنَّ لِويس صَديقٌ مُخْلِصٌ ، وَأعْرِفُ أنَّهُ سَيَفي بِوَعْدِهِ .

قَدْ تَسْأَلُ – أيُّها القارِئُ – : هَلْ حاوَلْتَ أنْ تُخْبِرَ لِويس بِأمْرِ بُولْدي ؟ نَعَمْ ، فَعَلْتُ .. حاوَلْتُ عِدّةَ مَرّاتٍ .. وَلٰكِنْ في كُلِّ مَرّةٍ كُنْتُ أعْجَزُ عَنِ الكَلامِ . حاوَلْتُ أنْ أطْلُبَ مِنْ لِويس أنْ يَبْقى مَعي في المَنْزِلِ لَيْلةً كامِلةً ، وَلٰكِنَّني لَمْ أتَمَكَّنْ . فَعِنْدَما كُنْتُ أُحاوِلُ فَتْحَ فَمي ، لَمْ أكُنْ أقْوى عَلى ذٰلِكَ ، بَلْ وَأسْمَعُ – دائِمًا – وَقْعَ خُطُواتٍ آتيةٍ مِنَ الحُجْرةِ في الطّابَقِ العُلْوِيِّ . كُنْتُ أسْمَعُ – دائِمًا – تَحْذيرًا صادِرًا عَنْ بُولْدي ، وَدائِمًا تَرِدُ عَلى ذِهْني الكَلِماتُ : « هٰذا سِرُّنا ! » قَدْ تَكونُ هٰذهِ الكَلِماتُ صادِرةً مِنْ صَوْتٍ حَقيقِيٍّ ؛ لَعَلَّهُ صَوْتُ بُولْدي يَتَحَدَّثُ بِلُطْفٍ ، وَلٰكِنَّهُ

يَحْمِلُ – دائمًا – تَحْذيرًا لي .

في أَحَدِ أَيّامِ ٱلأَرْبعاءِ – مُنْذُ شَهْرَيْنِ تَقْريبًا – كُنْتُ أَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ مَعَ لِويس ، وَكُنْتُ مُتْعَبًا جدًّا ، فَقَد كانَتِ اللَّيْلَةُ ٱلماضِيةُ عَصيبةً لِلْغايةِ . وَحاوَلْتُ أَنْ أَلْعَبَ ، وَلَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ في بُولْدي ، غَيْرَ أَنَّ لِويس ذَكَرَ اسْمَ بُولْدي فَجْأَةً ، وَبَدَأَ يُحَدِّثُني أَثْناءَ ٱلمُباراةِ .

قالَ لِويس : « وِلْيم ، كُنْتُ بِالأَمْسِ في ٱلمَكْتَبةِ ، وَكُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ آخِرِ مُؤَلَّفاتِكَ .. قِصَصِ فيلْبِرْت وايْلي ، إِنَّني أَذْكُرُ أَنَّكَ حَدَّثْتَني – ذاتَ مَرَّةٍ ، لَعَلَّها مُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ – عَنْ شَخْصِيَّةٍ جَديدةٍ .. إِنَّكَ أَعْطَيْتَ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةَ اسْمَ بُولْدي . لَمْ أَنْسَ قَطُّ اسْمَ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ غَريبٌ . إِنَّني لا أَميلُ إِلَيْهِ ، وَلٰكِنِّي تَذَكَّرْتُهُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ .. وَقَدِ اشْتَرَيْتُ جَميعَ مُؤَلَّفاتِكَ ٱلأَخيرةِ ، وَقَرَأْتُها جَميعًا ؛ وَ اسْتَمْتَعْتُ بِها ، إِلَّا أَنَّني لَمْ أَلْتَقِ بِهٰذِهِ الشَّخْصِيَّةِ – شَخْصِيَّةِ بُولْدي – في أَيٍّ مِنْها . »

شَحَبَ وَجْهي ، وَكانَ بُولْدي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ في الطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ . كُنْتُ أَسْمَعُهُ ، وَلٰكِنَّ لِويس لَمْ يَكُنْ في مَقْدورِهِ ذٰلِكَ . وَفي النِّهايةِ قُلْتُ : « نَعَمْ يا لِويس ، لَمْ أَسْتَخْدِمْ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةَ في قِصَّتي ، لَقَدْ غَيَّرْتُ ٱلقِصَّةَ . »

سَأَلَ لِويس : « لِماذا ؟ إِنَّني أَذْكُرُ أَنَّهُ كانَ شَخْصِيَّةً مُمْتِعةً ،

بِجانِبَيْها .. الخَيْرِ وَالشِّرِّيرِ . »

صِحْتُ : « كَلَّا ، بَلْ هُوَ شَرٌّ ! شَرٌّ ! شَرٌّ خالِصٌ ! »

ارْتَفَعَ صَوْتُ الدَّقِّ الصّادِرِ مِنْ أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ في الطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ . كانَ أَشْبَهَ بِرَقْصٍ مَحْمومٍ ، وَسَمِعْتُ التَّحْذيرَ .. وَ اسْتَجْمَعْتُ نَفْسي ، وَقُلْتُ في صَوْتٍ هادِئٍ : « إِنَّني آسِفٌ . نَعَمْ ، لَمْ أَسْتَخْدِمْ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةَ . » (لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَلْفِظَ اسْمَ بُولْدي) .

واصَلْنا لَعِبَ الشِّطْرَنْجِ ، وَانْتَهَتِ ٱلمُباراةُ بالطَّريقةِ ٱلمُعْتادةِ ، وَقالَ لِويس : « ماتَ ٱلمَلِكُ . » وَخَسِرْتُ مَلِكي ، وَ انْتَهَتِ ٱلمُباراةُ . وَتَمَنَّى لي لِويس لَيْلةً سَعيدةً ، وَ انْصَرَفَ .

أَنْزَلَ بُولْدي بي عِقابًا حَقيقِيًّا تِلْكَ اللَّيْلةَ : قَرَصَني وَرَكَلَني ، وَصَفَعَني وَ الغَريبُ أَنَّ كُلَّ هٰذِهِ الأَفْعالِ لا تَتْرُكُ أَيَّةَ آثارٍ عَلى جِسْمي أَبَدًا . وَكَثيرَ ما أَشْعُرُ بِآلامٍ فَظيعةٍ ، وَلٰكِنْ دُونَ أَنْ يَكونَ عَلى جِسْمي أَثَرٌ .

وَتَوَصَّلْتُ مِنْ هٰذا كُلِّهِ إِلى اكْتِشافِيَ الرّابِعِ الهامِّ : لَمْ يَكُنْ بُولْدي يَميلُ لِلِويس وَلا كانَ يَرْغَبُ في حُضورِهِ إِلى مَنْزِلي . كانَ يُريدُ أَنْ يَنْفَرِدَ بي طَوالَ ٱلوَقْتِ ، وَكانَتْ مُبارَياتُ أَماسِيِّ الثُّلاثاءِ – وَهِيَ ٱلأَماسِيُّ الَّتي تَسْبِقُ زِيارةَ لِويس لي – دائِمًا عَصيبةً لِلغايةِ .

لَمْ أَعُدْ أَسْتَمْتِعُ بِأَماسِيِّ الثُّلاثاءِ ، بَلْ أَخْشاها .. وَٱليَوْمُ هُوَ يَوْمُ الثُّلاثاءِ .

اَلفَصْلُ السّادِسُ

مَساءُ الاِثْنَيْنِ

أَوَدُّ أَنْ أَحْكِيَ لكَ عَنْ لَيْلةِ الأَمْسِ بِالتَّفْصيلِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ لَعِبْنا – مِنْ قَبْلُ – مُباراةً خَطيرةً ، كالَّتي لَعِبْناها بِالأَمْسِ . إِنَّني لَأَرْتَعِدُ بِمُجَرَّدِ التَّفْكيرِ فيها ، بَلْ إِنَّني أَرْتَعِدُ في هٰذِهِ اللَّحْظةِ الَّتي يَخُطُّ فيها قَلَمي هٰذِهِ السُّطورَ !

سَأَبْدَأُ مِنَ البِدايةِ . بِالأَمْسِ كُنْتُ جالِسًا في حُجْرةِ مَكْتَبي طَوالَ اليَوْمِ ، وَ بِطَبيعةِ الحالِ لَمْ أَكْتُبْ كَلِمةً واحِدةً ، وَ لَمْ أُحاوِلْ كِتابةَ أَيِّ شَيْءٍ . إِنَّ فيلْبَرْت وايْلي لايُثيرُ تَفْكيري أَوِ اهْتِمامي ، وَ لَمْ تَعُدْ مُغامَراتُهُ تَعْني شَيْئًا – بِالمَرَّةِ – بِالنِّسْبةِ لي .

إِذًا فَكَيْفَ قَضَيْتُ اليَوْمَ ؟ كُنْتُ أَنْظُرُ مِنَ النّافِذةِ طَوالَ اليَوْمِ . نَحْنُ الآنَ في فَصْلِ الشِّتاءِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فالطَّقْسُ لَيْسَ بارِدًا جِدًّا ، وَكانَتِ السَّماءُ صافِيةً بِالأَمْسِ . كانَتِ الشَّمْسُ ساطِعةً وَسَطَ السَّماءِ الزَّرْقاءِ ، وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلى حَديقَتي .. كانَتْ هادِئةً وَخالِيةً ، وَالحَشائِشُ نَدِيَّةً ، أَمّا الأَشْجارُ فَقَدْ نَضَتْ عَنْها أَوْراقَها .

لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ طَوالَ اليَوْمِ ، لَمْ أَرَ غَيْرَ شَيْءٍ واحِدٍ يُبَشِّرُ بِالحَياةِ : قِطَّةٍ سَوْداءَ تَمْشي عَبْرَ الحَشائِشِ . وَقَفَتِ القِطَّةُ تَحْتَ نافِذةِ حُجْرةِ

نَوْمي ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلى أَعْلى نَحْوَ النّافِذةِ لِمُدَّةٍ طَويلةٍ ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ في هُدوءٍ . إِنَّني أَذْكُرُ جَيِّدًا تِلْكَ القِطَّةَ ، لَقَدْ رَأَيْتُها مِنْ قَبْلُ ، لَقَدْ سَمِعْتُها في حَديقَتي مُنْذُ سَنَواتٍ – كانَ ذٰلِكَ عِنْدَما بَدَأَتْ لُعْبَتي مَعَ بُولْدى تَسوءُ .

لَمْ تَعُدِ القِطَّةُ تُقْلِقُني الآنَ ، لَمْ تَعُدْ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ ، فَقَدْ كانَ مَصْدَرُ قَلَقي الوَحيدُ هُوَ بُولْدي .

لَعَلَّكَ تَرى أَنَّهُ لاحاجةَ لِلْقَلَقِ وَ أَنَّ بِإِمْكاني مُغادَرةَ المَكانِ لِلأَبَدِ ، فَلَسْتُ مُلْزَمًا بِاللَّعِبِ مَعَ شَبَحٍ ، إِلّا أَنَّني أَرْغَبُ في ذٰلِكَ !

إِنَّ هٰذِهِ اللُّعْبةَ تُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ حَياتي ، وَ هِيَ تَسْتَحْوِذُ – دائِمًا – عَلى تَفْكيري ، لِذٰلِكَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَبْقى هُنا حَتَّى النِّهايةِ .

أَعْلَمُ أَنَّني أَثَرْتُ فُضولَكَ ، وَ أَنَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَ أَحْداثَ اللَّيْلةِ الماضِيةِ ، إِلّا أَنَّكَ لا بُدَّ أَنْ تُتيحَ لي وَقْتًا كافِيًا ، حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ تَرْتيبِ وَقائِعِها بِالشَّكْلِ المُناسِبِ ، فَقَدْ حَدَثَتْ أُمورٌ كَثيرةٌ ، وَ أُريدُ أَنْ أَذْكُرَها جَميعًا .

ظَلَّتِ السَّماءُ صافِيةً أَثْناءَ اللَّيْلِ ، وَكانَ القَمَرُ بَدْرًا ، فَقَدْ كانَتِ اللَّيْلةُ شَبيهةً بِاللَّيْلةِ الَّتي قُمْتُ بِوَصْفِها مِنْ قَبْلُ في هٰذِهِ القِصَّةِ . كُنْتُ سَعيدًا بِرُؤْيةِ البَدْرِ ، فَقَدْ غَمَرَ حُجْرَتي بِضَوْئِهِ ، وَ لَمْ أُسْدِلْ سَتائِرَ النّافِذةِ قَبْلَ

تَوَجُّهي لِلْفِراشِ . كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَةِ ٱلقَمَرِ . وَ في مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ تَقْرِيبًا
نَزَعْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ؛ وَ في ٱلحالِ بَدَأَتِ ٱللُّعْبَةُ .

فاجَأَني بُولْدي عِنْدَ بِدايَةِ ٱلمُباراةِ ، فَلَمْ يَبْدَأْ بِدايَةً سَيِّئَةً ، بَلْ بَدَأَها
بِشَكْلٍ جَيِّدٍ ؛ حَتَّى إِنَّني لَمْ أُصَدِّقْ ما حَدَثَ ! ذٰلِكَ لِأَنَّنا لَمْ نَلْعَبْ مُباراةً
جَيِّدَةً مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِسَعادَةٍ طاغِيَةٍ أَثْناءَ اللَّعِبِ ، وَ لَمْ أُدْرِكْ أَنَّها خُدْعَةٌ – خُدْعَةٌ
دَنِيئَةٌ !

في ٱلبِدايَةِ الطَّيِّبَةِ لِلْمُباراةِ نَمَّ بُولْدي بِإِشارَةٍ واضِحَةٍ عَنْ وُجودِهِ ،
فَسَمِعْتُ طَرْقَةً في ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ لِلْحُجْرَةِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَعْرُجُ نَحْوَ سَريري ،
بَيْنَما كُنْتُ أُحاوِلُ ٱلبَحْثَ عَنِ ٱلقابِسِ . كانَ بُولْدي قَدْ وَصَلَ إلى
سَريري ، وَ بَدَأَ يَهُزُّهُ قَبْلَ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ إيلاجِ ٱلقابِسِ ، وَ بِذٰلِكَ يَكونُ
بُولْدي قَدْ فازَ بِهٰذِهِ ٱلمُباراةِ . ثُمَّ ٱسْتَأْنَفْنا اللَّعِبَ . وَكُنْتُ دائمًا أَدَعُهُ
يَكْسِبُ أَثْناءَ ٱلمُبارَياتِ الطَّيِّبَةِ ، وَ لٰكِنَّني لَمْ أَتَساهَلْ مَعَهُ اللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ ،
وَ إِنَّما فازَ بِٱلفِعْلِ . وَكُنْتُ دائِمًا أَجِدُ ٱلقابِسَ ، وَ لٰكِنَّ بُولْدي كانَ أَسْرَعَ
مِنِّي .. وَ لَمْ يُسَبِّبْ لي ذٰلِكَ أَيَّ قَلَقٍ ، إِلَّا أَنَّ شَيْئًا حَدَثَ فَجْأَةً ،
وَ وَضَعَ نِهايَةً لِلَّعِبِ ٱلجَيِّدِ .

بَدَأْتُ أَرْتَعِدُ ، وَ سادَ حُجْرَتي جَوٌّ بارِدٌ ، بَلْ شَديدُ ٱلبُرودَةِ ،



وَلا أَعْرِفُ السَّبَبَ ، فَمَنْزِلي دافِئٌ دائِمًا ، وَ أَنا أَمْقُتُ ٱلبَرْدَ . لَقَدْ تَوَقَّفَتِ
ٱلمُباراةُ ٱلجَيِّدَةُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَ ٱنْتابَني – فَجْأَةً – شُعورٌ بِنَذيرِ شَرٍّ .

كُنْتُ بِحاجَةٍ إلى الدِّفْءِ ، وَ لِذٰلِكَ غَطَّيْتُ رَأْسي بِٱلأَغْطِيَةِ
وَ ٱنْتَظَرْتُ .. وَ إِذا بِيَدٍ تَنْزِعُ ٱلأَغْطِيَةَ مِنْ فَوْقِ وَجْهي . وَ جَلَسْتُ مُتَحَفِّزًا
أَرْقُبُ مايَجْري . طارَتْ أَغْطِيَتي عَبْرَ ٱلحُجْرَةِ ، ثُمَّ سَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ ،
وَ جَرَيْتُ خَلْفَها ، وَ لٰكِنْ حينَ حاوَلْتُ مَدَّ يَدي نَحْوَها ، أَخَذَتْ تَبْتَعِدُ
عَنِّي ، وَكَأَنَّ بُولْدي يَقولُ : « اِلْحَقْ بي إِنِ اسْتَطَعْتَ » ، وَ أَدْرَكْتُ أَنَّهُ
يُريدُ أَنْ يُلاعِبَني لُعْبَةَ : « سَأَخْتَبِئُ وَ ابْحَثْ عَنِّي . » وَ قُلْتُ بِصَوْتٍ
مُرْتَفِعٍ : « فَلْيَكُنْ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْعَبَ هٰذِهِ اللُّعْبَةَ ، فَأَنا عَلى ٱسْتِعْدادٍ ،

وَ لٰكِنْ أَرْجوكَ أَنْ تُعيدَ إِلَيَّ أَغْطِيَتي . » وَ طارَتِ ٱلأَغْطِيَةُ عائِدَةٍ إِلى سَريري ، فَقُلْتُ : « حَسَنًا ، وَ ٱلآنَ سَأَعُدُّ حَتّى ٱلعَشَرَةِ ، حَتّى تَخْتَبِئَ . » ثُمَّ أَدَرْتُ رَأْسي صَوْبَ ٱلحائِطِ ، وَ بَدَأْتُ أَعُدُّ : « واحِدٌ ، اِثْنانِ ، ثَلاثَةٌ ..» كُنْتُ أَعُدُّ بِبُطْءٍ ، وَ في أَثْناءِ ذٰلِكَ سَمِعْتُ وَقْعَ خُطُواتٍ خَلْفي ، بَلْ سَمِعْتُ كُلَّ ضُروبِ ٱلأَصْواتِ ٱلخافِتَةِ ، ثُمَّ سادَ ٱلحُجْرَةَ هُدوءٌ تامٌّ ، وَ ٱسْتَدَرْتُ في مُواجَهَةِ ٱلحُجْرَةِ .

كانَتِ ٱلحُجْرَةُ – بِطَبيعَةِ ٱلحالِ – خالِيَةً تَمامًا مِنْ أَيِّ شَخْصٍ ، وَكانَ بُولْدي قَدِ ٱخْتَبَأَ – مَثَلًا – تَحْتَ السَّريرِ أَوِ ٱلكُرْسِيِّ أَوْ في خِزانَةِ ٱلمَلابِسِ . غَيْرَ أَنَّ بُولْدي لَيْسَ إِلّا شَبَحًا ، وَ في مَقْدورِهِ ٱلاخْتِباءُ في أَيِّ مَكانٍ .. حَتّى في داخِلِ أَحَدِ جُيوبي !

قُلْتُ : « أَنا قادِمٌ ٱلآنَ لِأُمْسِكَ بِكَ يابُولْدي . »

ذَهَبْتُ مُباشَرَةً إِلى خِزانَةِ ٱلمَلابِسِ ، وَ فَتَحْتُ بابَها بِبُطْءٍ ، وَ قَبْلَ أَنْ يَنْفَتِحَ ٱلبابُ تَمامًا ، أَدْخَلْتُ يَدي بِحَذَرٍ في ٱلخِزانَةِ ، خَشْيَةَ أَنْ يَعَضَّني أَوْ يَصْفَعَني بُولْدي ، وَ لٰكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ . وَ جَذَبْتُ ٱلبابَ حَتّى ٱنْفَتَحَ عَلى مِصْراعَيْهِ ؛ فَتَسَلَّلَ ضَوْءُ ٱلقَمَرِ إِلى داخِلِ خِزانَةِ ٱلمَلابِسِ ، فَكانَ بِٱسْتِطاعَتي أَنْ أَرى مَلابِسي بِداخِلِها ، وَكانَ بِٱسْتِطاعَتي – أَيْضًا – أَنْ أَرى فُسْتانَ جولي ٱلجَميلَ .

تَحَسَّسْتُ جَميعَ مَلابِسي .. لا شَيْءَ ! لا بُدَّ أَنَّهُ مُخْتَبِئٌ داخِلَ

مِعْطَفي . أَخْرَجْتُ ٱلمِعْطَفَ مِنَ ٱلخِزانَةِ وَنَفَضْتُهُ ؛ وَ مَرَّةً أُخْرى .. لا شَيْءَ ! صِحْتُ : « أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَ في ذُعْرٍ شَديدٍ أَخْرَجْتُ مَلابِسي ، ٱلقِطْعَةَ بَعْدَ ٱلأُخْرى ، أَنْفُضُها ، ثُمَّ أُلْقيها عَلى أَرْضِيَّةِ حُجْرَةِ نَوْمي ، وَ سُرْعانَ ما تَجَمَّعَتْ كُلُّ مَلابِسي عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ . حَتّى فُسْتانُ جولي كانَ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ أَيْضًا .

كانَتْ خِزانَةُ ٱلمَلابِسِ خالِيَةً تَمامًا ، وَ مَعَ ذٰلِكَ لا أَثَرَ لِبُولْدي .

صِحْتُ : « أَنْتَ تَحْتَ السَّريرِ ! » وَ جَثَوْتُ عَلى ٱلأَرْضِ وَ زَحَفْتُ تَحْتَ السَّريرِ ، وَ تَحَسَّسْتُ ٱلأَرْضَ بِيَدي .. لا شَيْءَ هُناكَ . وَ جَلَسْتُ في النِّهايَةِ عَلى ٱلكُرْسِيِّ ، وَ ٱنْتَظَرْتُ ، وَ كُنْتُ أَشْعُرُ أَنَّهُ بِٱلحُجْرَةِ ، وَ لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلعُثورَ عَلَيْهِ .

بَقيتُ جالِسًا عَلى ٱلمَقْعَدِ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وَ شَعَرْتُ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلنَّوْمِ ، فَأَغْلَقْتُ عَيْنَيَّ ، وَ عِنْدَما فَتَحْتُهُما وَقَعَتا عَلى سَريري ، وَ هُنا صَحَوْتُ تَمامًا . كانَ بُولْدي قَدْ أَلْقى بِٱلأَغْطِيَةِ عَلى السَّريرِ مُنْذُ فَتْرَةٍ ، وَكانَتِ ٱلأَغْطِيَةُ لاتَزالُ في مَكانِها ، لٰكِنْ كانَ تَحْتَها شَكْلُ شَخْصٍ رَفَعَ ٱلغِطاءَ فَوْقَ رَأْسِهِ .

ذَهَبْتُ بِسُرْعَةٍ إِلى السَّريرِ ، وَ لَمَسْتُ ٱلأَغْطِيَةَ ؛ فَتَحَرَّكَ الشَّكْلُ تَحْتَها ، تَحَرَّكَ كَشَخْصٍ نائِمٍ . وَ لَمَسْتُها مَرَّةً أُخْرى ، فَنَفَضَ الشَّكْلُ ٱلأَغْطِيَةَ عَنْهُ . وَ لَمْ أَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ شَيْءٍ ، وَلٰكِنَّني سَمِعْتُ خُطًى سَريعَةً



في آتِّجاهِ آلجانِبِ آلآخرِ لِلْحُجْرةِ . لَقَدْ كانَ بُولْدي مُخْتَبِئًا تَحْتَ آلأَغْطِيةِ ..

صِحْتُ : « لَقَدْ أَمْسَكْتُ بِكَ وَ فُزْتُ ! إذًا حانَ دَوْرِيَ آلآنَ لِلاخْتِباءِ ، وَ لا بُدَّ أَنْ تَعُدَّ حَتَّى آلعَشَرةِ ؛ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنَ آلاخْتِباءِ . »

اِنْتَظَرْتُ .. ثُمَّ سَمِعْتُ طَرْقًا آتِيًا مِنْ رُكْنِ آلحُجْرةِ . كانَ بُولْدِي يَعُدُّ ، طَرْقةً ، ثُمَّ أُخْرى ، ثُمَّ أُخْرى ، وَكُنْتُ أُفَكِّرُ .. أَيْنَ يُمْكِنُني آلاخْتِباءُ ؟ هُناكَ مَكانٌ واحِدٌ : تَحْتَ السَّريرِ . زَحَفْتُ تَحْتَهُ بِهُدوءٍ تامٍّ ، وَ سَكَنْتُ تَمامًا . اِسْتَمَرَّتِ الطَّرَقاتُ ، وَكانَ هُناكَ عَشْرُ طَرَقاتٍ ، ثُمَّ صَمْتٌ تامٌّ .

حَبَسْتُ أَنْفاسي وَ أَرْهَفْتُ السَّمْعَ . صَمْتٌ تامٌّ ! نَظَرْتُ عَبْرَ أَرْضِيَّةِ

آلحُجْرةِ .. كُنْتُ أَرى آلمَلابِسَ الَّتي أَلْقَيْتُها هُناكَ ، وَ بَدَأَتِ آلمَلابِسُ تَتَحَرَّكُ ! ثَمَّةَ شَخْصٌ يَلْتَقِطُها ، ثُمَّ يُلْقيها مَرَّةً أُخْرى ، قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعةٍ . وَكانَتِ آلقُمْصانُ تَطيرُ في آلهَواءِ ثُمَّ تَسْقُطُ . طارَتْ بَنْطَلوناتي ، وَ مِعْطَفي ، وَ حُلَّتاي ، ثُمَّ سَقَطَتْ . لَمَعَ فُسْتانُ جولي في ضَوْءِ القَمَرِ ، ثُمَّ طارَ وَ سَقَطَ أَيْضًا . وَكانَ بُولْدي يَبْحَثُ عَنِّي في جَميعِ آلمَلابِسِ بِعِنايةٍ .

فَجْأَةً قَطَعَ بُولْدي فَتْرةَ الصَّمْتِ ، وَ انْفَتَح بابُ آلخِزانةِ بِشِدَّةٍ . كانَ يَدُقُّ عَلى آلخِزانةِ بِشِدَّةٍ ، حَتَّى إنَّها كانَتْ تَرْتَجُّ ، ثُمَّ سَقَطَتْ وَ ارْتَطَمَتْ بِآلأَرْضِ مُحْدِثةً صَوْتًا عالِيًا . مَرَّةً أُخْرى خَيَّمَ عَلى آلحُجْرةِ صَمْتٌ تامٌّ ، وَكُنْتُ أَحْبِسُ أَنْفاسي ، وَ أَسْمَعُ خُطُواتِهِ « آلعَرْجاءَ » تَتَحَرَّكُ مِنَ آلجانِبِ آلآخَرِ لِلْحُجْرةِ ، وَ تَقْتَرِبُ مِنَ السَّريرِ ، خُطْوةً ، خُطْوةً .. وَ بِبُطْءٍ شَديدٍ . كُنْتُ أُحاوِلُ أَلَّا أَصْرُخَ . وَ تَوَقَّفَ بُولْدي بِجِوارِ سَريري . سَرَتْ في جِسْمي مَوْجةٌ مِنَ آلبَرْدِ ، فَثَنَيْتُ ساقَيَّ ، وَ أَلْصَقْتُهُما بِجِسْمي . لَمَسَ شَيْءٌ ساقَيَّ بِرِقَّةٍ ، فَلَمْ أَتَحَرَّكْ ، ثُمَّ لَمَسَ وَجْهي شَيْءٌ ، وَ شَعَرْتُ بِنَفَسٍ حارٍّ يَلْفَحُ وَجْهي ؛ فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عالٍ ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَتَحَرَّكَ بَعيدًا عَنْهُ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ .

مَنَعَني آلفَزَعُ مِنَ آلحَرَكةِ ، وَ إذا بِبُولْدي يَرْفَعُ السَّريرَ بِأَكْمَلِهِ فَوْقَ رَأْسي وَ يُسْقِطُهُ فَوْقي . اِرْتَطَمَ السَّريرُ بِآلأَرْضِ مُحْدِثًا دَوِيًّا عالِيًا ، وَ لَكِنَّهُ

لَمْ يُصِبْنِي بِأَذًى . رَفَعَهُ بُولْدي ثانِيةً ، حَتّى كادَ يُلامِسُ السَّقْفَ فَوْقي ، وَ نَظَرْتُ إلى السَّريرِ ، وَ ٱلفَزَعُ يَمْلَأُني ، ثُمَّ بَدَأَ السَّريرُ يَنْزِلُ بِبُطْءٍ . وَ في إحْدى لَحَظاتِ ٱلفَزَعِ نَهَضْتُ واقِفًا ، وَ هَرْوَلْتُ نَحْوَ ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ لِلْحُجْرَةِ ، وَ نَظَرْتُ إلى السَّريرِ ٱلَّذي عادَ إلى مَكانِهِ عَلى ٱلأَرْضِ بِهُدوءٍ ، وَكانَ لا بُدَّ لي مِنَ ٱلاخْتِباءِ في مَكانٍ ما . كانَتْ خِزانَةُ ٱلمَلابِسِ تَقْبَعُ أَمامي عَلى ٱلأَرْضِ ، فَقَلَبْتُها ، ثُمَّ قَفَزْتُ بِداخِلِها ، وَ أَغْلَقْتُ بابَها خَلْفي ، وَ قَبَعْتُ بِداخِلِها ساكِنًا . بَدَأَ بُولْدي يَنْقُرُ عَلى بابِ خِزانَةِ ٱلمَلابِسِ ، وَكانَ النَّقْرُ – بادِئَ ٱلأَمْرِ – خَفيفًا جِدًّا ، ثُمَّ ٱرْتَفَعَ صَوْتُهُ بِالتَّدْريجِ . فَجْأَةً ٱنْفَتَحَ ٱلبابُ بِشِدَّةٍ ، وَ أَمْسَكَتْ بي يَدانِ قَوِيَّتانِ ، وَ رَفَعَتاني إلى أَعْلى ، وَ أَلْقَتا بي عَلى ٱلفِراشِ . وَكُنْتُ أَصْرُخُ وَأَصيحُ ، إلّا أَنَّني لَمْ أَشْعُرْ بِأَيِّ آلامٍ ، وَ تَسَلَّلْتُ تَحْتَ الغِطاءِ وَ ٱنْتَظَرْتُ .

وَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَسْمَعُ صَوْتَ بُولْدي . سَمِعْتُ ضِحْكَةً طَويلَةً شِرِّيرَةً ، وَكانَ هُناكَ شَيْءٌ في صَوْتِهِ ، سَمِعْتُهُ مِنْ قَبْلُ . وَ سُرْعانَ ما ٱمْتَلَأَتِ ٱلحُجْرَةُ بِالضَّحِكِ الصّاخِبِ .

صِحْتُ فيهِ : « كُفَّ عَنْ هٰذا ! كُفَّ عَنْ هٰذا ! أَرْجوكَ أَنْ تَكُفَّ عَنْ هٰذا ! » وَ لٰكِنَّ الضَّحِكَ ٱسْتَمَرَّ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ .

مَرَّتْ بَعْدَ ذٰلِكَ فَتْرَةٌ طَويلَةٌ جِدًّا مِنَ الصَّمْتِ ، وَكانَتْ لُعْبَةُ : « أَخْتَبِئُ

وَ ٱبْحَثْ عَنّي » قَدْ وَصَلَتْ إلى نِهايَتِها .

تَساءَلْتُ : « ماذا هُوَ فاعِلٌ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ » . وَ مَرَّ نَحْوُ نِصْفِ ساعَةٍ ، وَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ .

سَمِعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ صَوْتًا غَريبًا . كانَ صَوْتًا أَشْبَهَ بِأَصابِعَ تَخْدِشُ الزُّجاجَ . أَ كانَ بُولْدي يَخْدِشُ زُجاجَ النَّوافِذِ ؟ وَ نَظَرْتُ إلى النَّوافِذِ مَلِيًّا . وَكانَ بِمَقْدوري أَنْ أَراها بِوُضوحٍ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ ، وَ ٱكْتَشَفْتُ أَنَّ الصَّوْتَ لَيْسَ صادِرًا مِنَ النَّوافِذِ . وَ دارَ في خَلَدي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ زُجاجٌ آخَرُ في ٱلحُجْرَةِ . وَ لٰكِنَّني كُنْتُ مُخْطِئًا . كانَتْ هُناكَ صورَةٌ لِجولي مُعَلَّقَةٌ عَلى ٱلحائِطِ ! وَكانَتِ الصّورَةُ خَلْفَ لَوْحٍ مِنَ الزُّجاجِ . أَرْهَفْتُ السَّمْعَ ، وَكانَ صَوْتُ ٱلخَدْشِ مُسْتَمِرًّا . نَعَمْ كانَ صادِرًا مِنَ الصّورَةِ ، فَنَظَرْتُ إلَيْها مَلِيًّا . وَكانَتِ الصّورَةُ لِوَجْهِ جولي بِالْحَجْمِ الطَّبيعِيِّ ، تُبْرِزُ نَضارَتَها وَ جَمالَها . وَكانَتْ تَبْتَسِمُ لي . وَ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ – بِطَبيعَةِ ٱلحالِ – بِإمْكاني أَنْ أَراها بِالتَّفْصيلِ ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ أَعْرِفُ تِلْكَ الصّورَةَ تَمامَ ٱلمَعْرِفَةِ ، فَكانَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ أَتَخَيَّلَ وَجْهَ جولي ٱلجَميلَ .

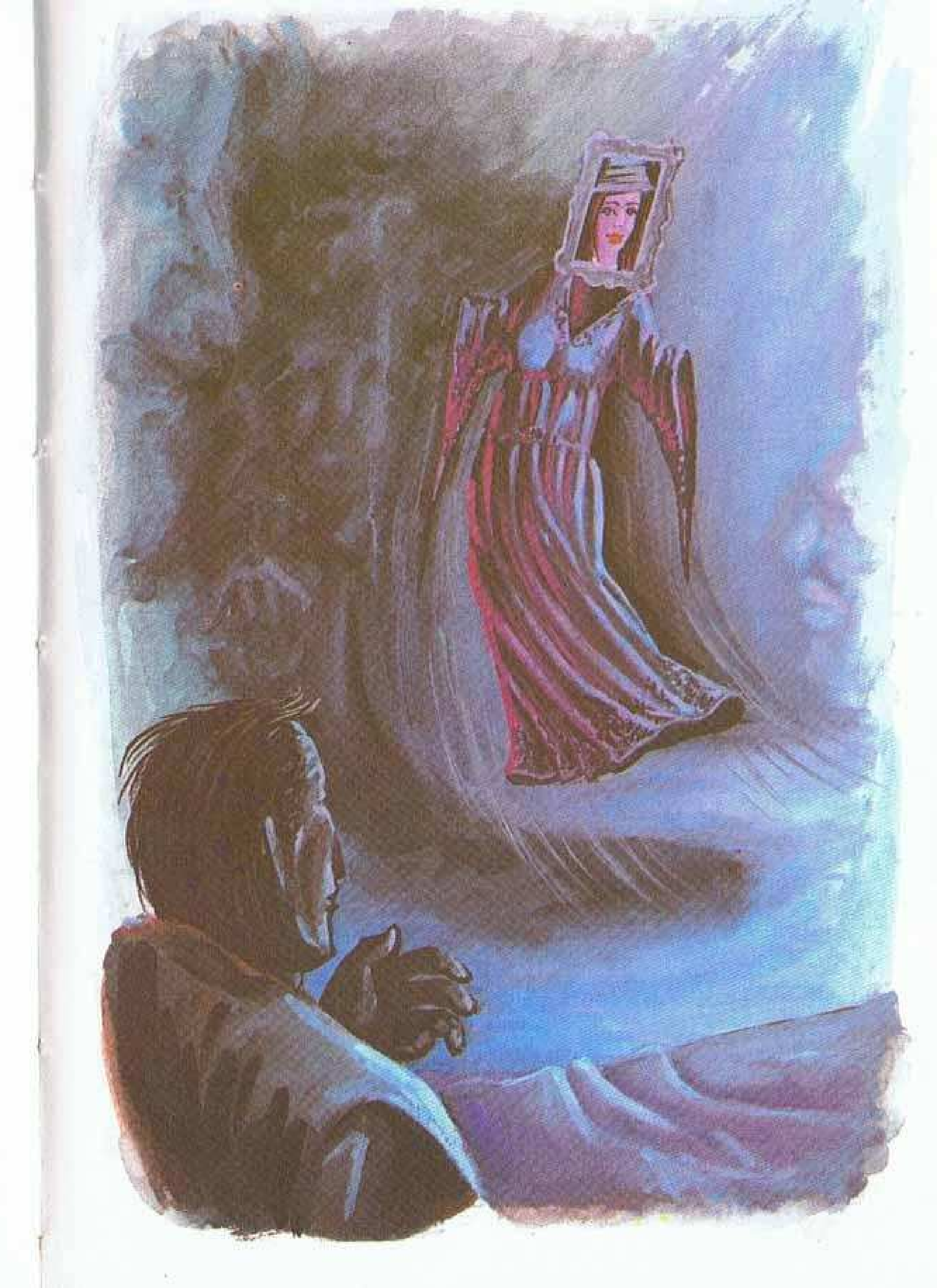
تَوَقَّفَ ٱلخَدْشُ ، وَ تَحَرَّكَتِ الصّورَةُ بَعيدًا عَنِ ٱلحائِطِ ، وَ طارَتْ بِخِفَّةٍ نَحْوي ، فَنَظَرْتُ في عَيْنَيْ جولي ، وَنَظَرَتْ هِيَ في عَيْنَيَّ .

« أ هٰذِهِ أَنْتِ يا جولي ؟ هَلْ أَنْتِ الشَّبَحُ ؟ هَلْ أَنْتِ الَّتي تُطارِدينَني ؟ »
جاءَتِ ٱلإجابةُ عَنْ أَسْئِلَتي في شَكْلِ ضِحْكةٍ شِرِّيرةٍ . كانَتْ لِجولي - دائِمًا - ضِحْكةٌ ناعِمةٌ ، وَ لٰكِنَّني تَعَرَّفْتُ عَلى ضِحْكَتِها ، وَسَطَ هٰذِهِ الضِّحْكةِ الشِّرِّيرةِ .

تَعَلَّقَتِ الصُّورةُ في ٱلهَواءِ ، وَكانَتْ تَبْعُدُ عَنِ ٱلأَرْضِ خَمْسَ أَقْدامٍ ، وَ إذا بِشَيْءٍ عَجيبٍ يَحْدُثُ . تَحَرَّكَ فُسْتانُ جولي مُبْتَعِدًا عَنِ ٱلأَرْضِ ، مُتَّجِهًا نَحْوَ الصُّورةِ ، وَ اتَّخَذَ مَكانَهُ - في الحالِ - تَحْتَ الصُّورةِ تَمامًا ، ثُمَّ بَدَأَ يَرْقُصُ ، وَكانَ يَرْقُصُ بِخِفَّةٍ وَ رَشاقةٍ - كَما كانَتْ تَفْعَلُ جولي دائِمًا .

كانَتِ الصُّورةُ تُمَثِّلُ رَأْسَ جولي ، وَكانَ ٱلفُسْتانُ يُمَثِّلُ قَوامَها ، وَكانَتْ جولي هِيَ ٱلوَحيدةَ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تَرْقُصَ عَلى هٰذا النَّحْوِ . وَ هٰكَذا عَرَفْتُ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - أَنَّ جولي وَ بولْدي شَخْصٌ واحِدٌ !

كانَتِ الرَّقْصةُ دَليلًا واضِحًا ، فَلَمْ أُرِدْ - فيما مَضى - أَنْ أُصَدِّقَ أَنَّ بولْدي هُوَ جولي ، وَ لٰكِنِّي ٱلآنَ مُضْطَرٌّ إلى الرَّبْطِ بَيْنَهُما .



الفَصْلُ السّابِعُ

الْحَقيقةُ

لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِالْحَقيقةِ في هٰذِهِ القِصَّةِ ، لٰكِنَّها لَمْ تَكُنِ الحَقيقةَ بِأَكْمَلِها . لِماذا ؟ لِأَنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُقْنِعَ بِها نَفْسي ، فَكَيْفَ لي أَنْ أُقْنِعَكَ بِها ؟ لَقَدْ حاوَلْتُ أَنْ أَتَهَرَّبَ مِنَ الحَقيقةِ لِمُدَّةِ اثْنَـيْ عَشَرَ عامًا ، وَحانَ الوَقْتُ لِلاعْتِرافِ بِها . وَ لَعَلَّكَ تَعْرِفُ الآنَ . نَعَمْ ، قَتَلْتُ جولي ! وَ أَرْجوكَ أَلَّا تُسيءَ فَهْمي ، فَقَدْ قَتَلْتُها بِدافِعِ الحُبِّ ، لا الكَراهِيةِ ، وَ اضْطُرِرْتُ لِقَتْلِها لِصالِحِها وَ خَيْرِها !

لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ جولي كانَتْ تُحِبُّني وَكُنْتُ أُحِبُّها ، وَ هٰذا صَحيحٌ وَ أَخْبَرْتُكَ أَنَّني وَ جولي كُنّا سَعيدَيْنِ ، وَ هٰذا صَحيحٌ أَيْضًا . وَ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ أَصْدِقائي كانوا يَغارونَ مِنّي ، وَ هٰذا صَحيحٌ كَذٰلِكَ . لٰكِنَّني لَمْ أُخْبِرْكَ بِأَمْرٍ واحِدٍ : كُنْتُ أَغارُ مِنْ أَصْدِقائي .

إِنَّكَ تَعْرِفُ الكَثيرَ عَنّي ، تَعْرِفُ أَنَّني شَخْصٌ عادِيٌّ ، لا أُثيرُ انْتِباهَ أَحَدٍ ، وَ لا أَخْرُجُ كَثيرًا ، و لا أَرْقُصُ ، وَ لَيْسَ لَدَيَّ كَثيرٌ مِنَ الأَصْدِقاءِ ، وَتَتَرَكَّزُ حَياتي كُلُّها في كُتُبي . غَيَّرَتْ جولي حَياتي عَلى مَدى اثْنَـيْ عَشَرَ عامًا عِشْناها مَعًا ، وَ مَلَأَتْ حَياتي بِالأَصْدِقاءِ وَ الضَّحِكاتِ . إِذًا لِمَ قَتَلْتُها ؟ !

اِعْتَدْنا أَنْ نَخْرُجَ كَثيرًا مَعًا ، وَ اعْتادَ الأَصْدِقاءُ زِيارَتَنا كَثيرًا . وَكانَتْ جولي تَميلُ إِلى صُحْبَتي ، لٰكِنَّها كانَتْ تَميلُ أَيْضًا إِلى صُحْبَةِ الآخَرينَ .

كُنْتُ أُريدُ جولي لِنَفْسي ، لي وَحْدي . كُنْتُ دائِمًا وَحيدًا أَثْناءَ الحَفَلاتِ ، وَكانَ الشَّبابُ دائِمًا يَلْتَفّونَ حَوْلَ جولي ، وَ يَرْقُصونَ دائِمًا مَعَها وَكانَتْ تَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِهِمْ .

كانَتْ جولي – بِطَبيعةِ الحالِ – مُخْلِصةً لي ، وَكُنْتُ مُخْلِصًا لَها ، إِلَّا أَنَّ هٰذا لَمْ يَكُنْ لِيَكْفِيَني .. كُنْتُ لا أُريدُها أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعَ الرِّجالِ الآخَرينَ ، أَوْ تُراقِصَهُمْ . كُنْتُ أُريدُها مَعي طَوالَ الوَقْتِ ، وَكُنْتُ أَمْتَلِئُ غَيْرةً حينَ أَرى الرِّجالَ يَلْتَفّونَ حَوْلَها . وَ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَكَّمَ أَوْ أُسَيْطِرَ عَلى غَيْرَتي . وَ ذاتَ يَوْمٍ ناقَشْتُها في الأَمْرِ ، وَ لا أَذْكُرُ الآنَ – تَمامًا – الكَلِماتِ الَّتي تَبادَلْناها ، لٰكِنَّها كانَتْ أَقْرَبَ إِلى الشَّكْلِ الآتي :

قالَت جُولي : « اِرْتَدِ حُلَّتَكَ يا وِلْيَم ، سَنَخْرُجُ اللَّيْلَةَ . »

أَجَبْتُ : « لا أَرْغَبُ في الخُروجِ . »

قالَتْ : « لا تَكُنْ سَخيفًا يا وِلْيَم ، سَنَخْرُجُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

قُلْتُ : « وَ لٰكِنَّني أُريدُ البَقاءَ هُنا . »

قالَتْ : « أَنْتَ تُريدُ دائِمًا البَقاءَ بِالبَيْتِ ، إِنَّني أَعْرِفُ أَنَّكَ تُريدُ العَمَلَ في مُؤَلَّفاتِكَ ، وَ لٰكِنْ لا بُدَّ أَنْ نَسْتَمْتِعَ بِالحَياةِ أَيْضًا . »

قُلْتُ : « وَ لٰكِنَّني لا أُحِبُّ ٱلاخْتِلاطَ مَعَ كَثيرٍ مِنَ النّاسِ ، أُريدُ فَقَطْ أَنْ أَكونَ مَعَكِ . »

قالَتْ جولي – بِرِقَّةٍ – : « أَنْتَ تَغارُ يا وِلْيَم ! »

كانَ لا بُدَّ لي مِنَ الاعْتِرافِ بِذٰلِكَ ، فَقُلْتُ : « أَعْلَمُ أَنَّني كَذٰلِكَ . »

قالَتْ : « لَسْتَ في حاجَةٍ لِأَنْ تَغارَ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّني أُحِبُّكَ . »

« نَعَمْ ، أَعْلَمُ ذٰلِكَ تَمامًا . »

قالَتْ جولي : « شَخْصِيَّتُكَ تَخْتَلِفُ تَمامًا عَنْ شَخْصِيَّتي . أَنا في حاجَةٍ لِكَثيرٍ مِنَ النّاسِ حَوْلي ، وَ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَبْقى وَحْدي مَعَكَ في هٰذا ٱلبَيْتِ طَوالَ ٱلوَقْتِ . »

قُلْتُ : « أَخْشى أَنْ أَفْقِدَكِ . »

قالَتْ جولي : « لا تَخَفْ ، فَلَنْ يَحْدُثَ ذٰلِكَ أَبَدًا . لَنْ تَفْقِدَني ، فَأَنا أُحِبُّكَ ، أَنا زَوْجَتُكَ . »

قُلْتُ : « أَتَمَنّى أَنْ تَكوني زَوْجَتي لِلأَبَدِ . »

أَجابَتْ جولي : « سَيَكونُ ذٰلِكَ . »

كانَتْ تَقولُ الصِّدْقَ ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ لا أَزالُ غَيورًا ، وَ مَعَ مُرورِ ٱلوَقْتِ ازْدادَتْ غَيْرَتي ، وَ لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْها .

ثُمَّ حَدَثَ شَيْءٌ .. لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ قَبْلًا ، مَرِضَتْ جولي ، وَ اشْتَدَّ مَرَضُها . وَ قَدْ حَكَيْتُ لَكَ مِنْ قَبْلُ كَيْفَ أَنَّني اسْتَدْعَيْتُ أَفْضَلَ ٱلأَطِبّاءِ ، وَ هٰذا صَحيحٌ .

قالَ لي أَحَدُهُمْ : « زَوْجَتُكَ مَريضَةٌ جِدًّا ، وَ قَلْبُها ضَعيفٌ ، وَ يَلْزَمُ ٱلحِرْصُ ، فَقَدْ تَموتُ في أَيِّ وَقْتٍ . »

كُنْتُ أُريدُها لي وَحْدي لِلأَبَدِ ، وَ إِذا بِفِكْرَةٍ شِرِّيرَةٍ تَطْرَأُ عَلى ذِهْني : « يُمْكِنُني أَنْ أَقْتُلَ جولي ؛ وَ بِذٰلِكَ أَحْتَفِظُ بِها لِنَفْسي دائِمًا ، وَ لَنْ أُغادِرَ ٱلبَيْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَ سَتَكونُ دائِمًا مَعي . »

فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ كَثيرًا ، وَ انْتَهَيْتُ إِلى أَنَّني لا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَها ، وَ لِهٰذا السَّبَبِ لَمْ أَبْحَثْ عَنْ زَوْجَةٍ أُخْرى بَعْدَ جولي ، فَهِيَ مَعي طَوالَ ٱلوَقْتِ : لَدَيَّ صُوَرُها ، وَ لَدَيَّ ذِكْراها . لَمْ أَعُدْ غَيورًا ، فَلَيْسَ مِنْ سَبَبٍ ٱلآنَ يَدْعو إِلى ذٰلِكَ . »



وَ في إحْدى اللَّيالي ، اِسْتَلْقَتْ جولي في اَلفِراشِ بِجواري وَ هِيَ مَريضةٌ جِدًّا . كانَتْ تَتَنفَّسُ بِهُدوءٍ ، وَ لٰكِنْ لَمْ تَكُنْ نائِمةً .. بَدَأْتُ أُكَلِّمُها .

هَمَسْتُ : « جولي ، أُريدُكِ لي وَحْدي لِلأَبَدِ ، أَنْتِ تُحِبِّينَني وَ أَنا أُحِبُّكِ ، وَ هٰذا هُوَ سِرُّ سَعادَتِنا . »
هَمَسَتْ : « نَعَمْ ، هٰذا سِرُّنا . »
قُلْتُ : « سَتَبْقِينَ دائِمًا مَعي في هٰذا اَلبَيْتِ . »

هَمَسَتْ : « أَجَلْ . »

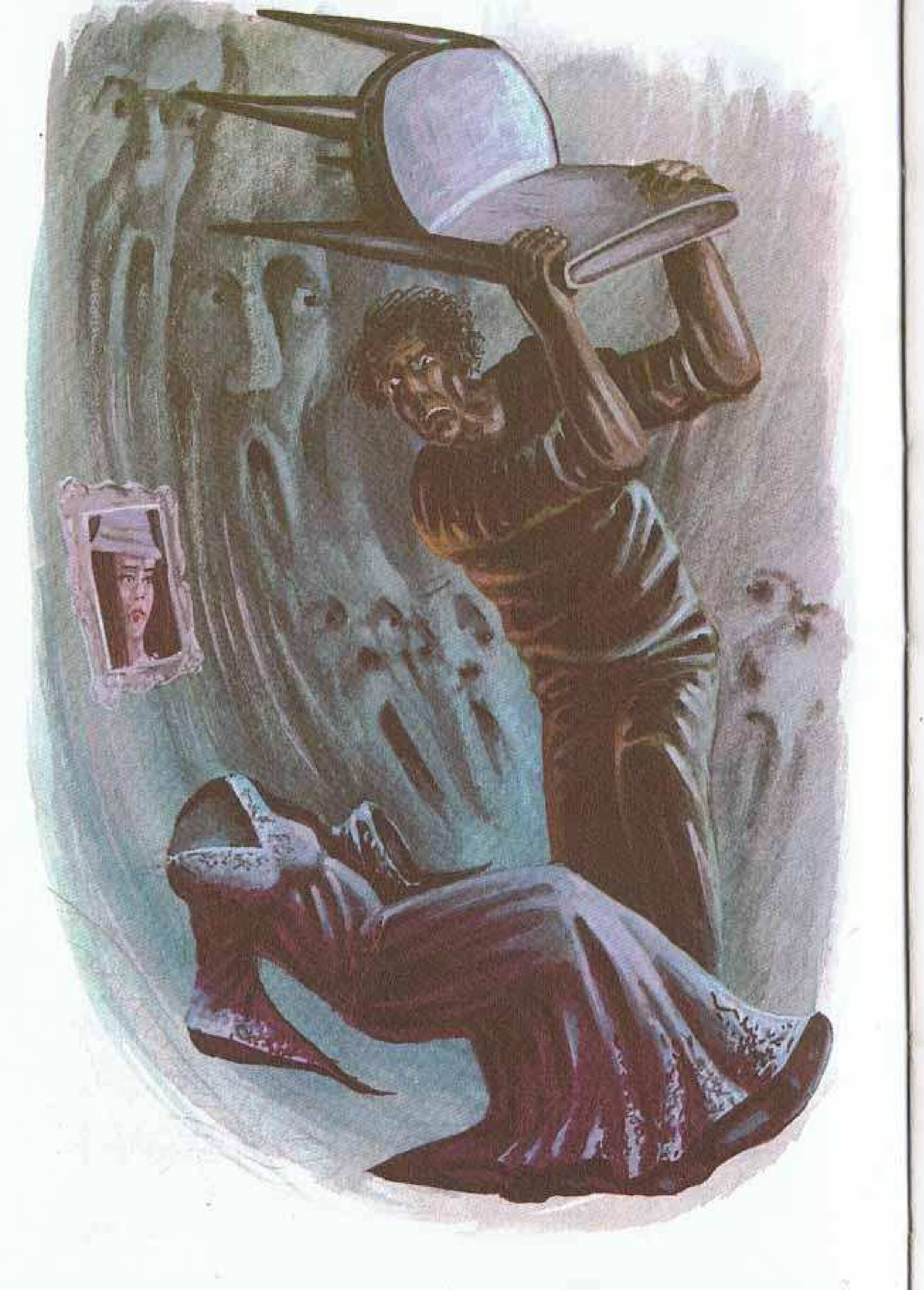
قُمْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِوَضْعِ وِسادَتي بِخِفَّةٍ فَوْقَ وَجْهِها ، وَ أَبْقَيْتُها كَذٰلِكَ لِمُدَّةٍ طَويلةٍ . وَ حاوَلَتْ أَنْ تَبْتَعِدَ ، وَ لٰكِنَّها لَمْ تَتَمَكَّنْ .. فَقَدْ كانَتْ ضَعيفةً جِدًّا . وَكُنْتُ أَسْمَعُ صَرَخاتِها اَلمَكْتومةَ ، وَ مَعَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْفَعْ عَنْها اَلوِسادةَ ، وَ أَخيرًا تَوَقَّفَ قَلْبُها ، وَ فارَقَتِ اَلحَياةَ .

بَعْدَ مَوْتِها قُلْتُ : « هٰذا هُوَ سِرُّنا ، أَنْتِ اَلآنَ لي وَحْدي لِلأَبَـدِ . »
اِتَّصَلْتُ بِالطَّبيبِ – هاتِفيًّا – في اَلحالِ ، وَ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ جولي لا تَتَنَفَّسُ بِطَريقةٍ طَبيعيَّةٍ . وَ جاءَ الطَّبيبُ بِسُرْعةٍ ، وَ لٰكِنْ بِالطَّبْعِ كانَتْ جولي قَدْ فارَقَتِ اَلحَياةَ .
قالَ الطَّبيبُ : « إِنَّني لَآسِفٌ أَنْ أُخْبِرَكَ أَنَّ زَوْجَتَكَ ماتَتْ . لَقَدْ تَوَقَّفَ

قَلْبُها . ماتَتْ مُنْذُ فَتْرةٍ قَصيرةٍ ، وَ لَعَلَّها ماتَتْ أَثْناءَ نَوْمِها . »

بَكَيْتُ كَثيرًا ، وَ لٰكِنَّني – في صَميمِ قَلْبي – كُنْتُ سَعيدًا ، كُنْتُ سَعيدًا لِأَنَّ جولي أَصْبَحَتْ لي وَحْدي لِلأَبَدِ .

وَ اَليَوْمُ هُوَ يَوْمُ الثُّلاثاءِ ، الثّاني وَ اَلعِشْرونَ مِنْ شَهْرِ يَنايِر . في مِثْلِ هٰذا اَليَوْمِ ، مُنْذُ اثْنَـيْ عَشَرَ عامًا ، قَتَلْتُ حَبيبَتي جولي .



اَلفَصلُ الثّامِنُ

أَحداثُ لَيْلةِ آلاِثْنَيْنِ

تَوَقَّفْتُ عَنْ سَرْدِ حِكايَتي لِأَنَّني كُنْتُ أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِٱلحَقيقةِ قَدْ تَعْتَقِدُ أَنَّني مَجْنونٌ ، أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، وَ لَعَلَّني مَجْنونٌ بِٱلفِعْلِ . فَقَدْ تَعايَشْتُ مَعَ هٰذا السِّرِّ اثْنَـيْ عَشَرَ عامًا : أَنا سَفّاحٌ . لَقَدْ قَتَلْتُ زَوْجَتي ، وَ مُنْذُ ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ وَ مَنْزِلي أَصْبَحَ مَسْكونًا بِٱلأَشْباحِ . وَ لَمْ أُدْرِكِ ٱلحَقيقةَ إِلَّا اللَّيْلَةَ ٱلماضِيةَ وَ بَعْدَ مُرورِ اثْنَـيْ عَشَرَ عامًا .

لَمْ يَكُنْ شَبَحُ حُجْرةِ نَوْمي شَبَحًا لَعوبًا ، يَهْوى الصَّخَبَ . وَ هُوَ لايُدْعى بُولْدي . إِنَّهُ شَبَحُ زَوْجَتي ٱلعَزيزةِ جولي . وَكانَ شَبَحًا لَعوبًا أَوَّلَ ٱلأَمْرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ ٱلآنَ أَصْبَحَ شَبَحًا غَيورًا وَ شِرِّيرًا - كَما كُنْتُ أَنا مُنْذُ اثْنَيْ عَشَرَ عامًا .

فَجْأَةً رَأَيْتُ جولي لَيْلَةَ أَمْسِ « حَيَّةً » مَرَّةً أُخرى ، كانَ « رَأْسُها » الصُّورةَ ، « وَ جَسَدُها » ٱلفُسْتانَ ، وَكانَتْ تَدورُ في ٱلحُجْرةِ راقِصةً . نَعَمْ ، كَمْ كانَ رَقْصُها جَميلًا ! وَكانَ فُسْتانُها ٱلجَميلُ يَلْمَعُ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ . كُنْتُ أَجْلِسُ في ٱلفِراشِ وَ أُشاهِدُها ، وَ نَسيتُ لُعْبَتَنا ، وَ لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ إِلّا في جولي « حَيَّةً » مَرَّةً أُخرى بَعْدَ كُلِّ هٰذِهِ السَّنَواتِ !

كُنْتُ أُحَدِّثُ نَفسي : « لَيسَ هٰذا مَعقولًا ، وَ لا يُمكِنُ أَنْ أُصَدِّقَهُ . »

اِستَمَرَّتْ جولي تَرْقُصُ وَ تَرْقُصُ ، وَكُنْتُ أَستَمِعُ إلى الموسيقى تَصدَحُ في رَأسي ، وَ إذا بي — فَجْأَةً — في حَفْلةٍ . اِمْتَلأَتِ الحُجْرةُ بِالضَّوْضاءِ وَ الصَّخَبِ وَ الضَّحِكاتِ ، كانَ الشَّبابُ يَنْتَشِرونَ في جَميعِ أَرْكانِ الحُجرةِ . وَكانَتْ حَبيبَتي جولي تَرْقُصُ عَلى أَنْغامِ الموسيقى ، وَكان الشَّبابُ يُتابِعونَها بِنَظَراتِهِمْ ، ثُمَّ يَرْمُقونَني بِنَظَراتِهِمْ وَ يَضحَكونَ . وَ بَيْنَما كانوا يَضْحَكونَ وَ يَسْخَرونَ مِنّي امْتَلأْتُ غَضَبًا وَ غَيْرةً ، وَ امْتَلأَ فِكْري بِالشَّرِّ .

صِحْتُ في الشَّبابِ : « اُغْرُبوا عَنْ وَجْهي ! جولي لي وَحْدي ، لي أَنا وَحْدي ! أَلا تَفْهَمونَ ؟ » بَدَأَتْ ضَحِكاتُ الشَّبابِ تَعْلو ، وَ تَعْلو ، وَ ازْدادَ غَضَبي شَيْئًا فَشَيْئًا . وَ قَفَزْتُ مِنَ الفِراشِ ، وَ جَرَيْتُ نَحْوَ الشَّبَحِ الرّاقِصِ ، وَ الموسيقى لاتزالُ تَصْدَحُ في رَأْسي ، وَكانَ الشَّبابُ لا يَزالونَ يَرْمُقونَني بِنَظَراتِهِمْ وَ يَسْخَرونَ مِنّي . رَفَعْتُ مَقْعَدًا إلى أَعْلى وَ انْهَلْتُ بِهِ عَلى الشَّبابِ ضَرْبًا ، ثُمَّ عَلى الشَّبَحِ الرّاقِصِ . ضَرَبْتُ الفُسْتانَ الجَميلَ ، في حِينَ كانَ يَدورُ في الحُجْرةِ . وَ فَجْأَةً تَوَقَّفَ صَوْتُ الموسيقى في رَأْسي ، وَ تَوَقَّفَ الرَّقْصُ ، وَ اخْتَفى الشَّبابُ مِنَ الحُجْرةِ ، وَ تَحَوَّلَتْ وُجوهُهُمْ إلى ظِلالٍ – ثُمَّ تلاشَتْ تَمامًا ، وَ تَوَقَّفَتْ ضَحِكاتُهُمْ .

اِنْهَلْتُ — مَرَّةً أُخرى — بِالضَّرْبِ عَلى الفُسْتانِ ، وَ لَمْ أُصَوِّبْ ضَرَباتي إلى الصُّورةِ ، بَلْ إلى الفُسْتانِ فَقَطْ . وَ ارْتَجَفَ الفُسْتانُ ، ثُمَّ تَهاوى بِبُطْءٍ عَلى الأَرْضِ . وَكانَتِ الصُّورةُ لا تَزالُ في مَكانِها عَلى قِمَّةِ الفُسْتانِ . وَ سَقَطَتِ الصُّورةُ وَ الفُسْتانُ عَلى الأَرْضِ . وَكانَتْ عَيْنا جولي الباسِمَتانِ تَتَطَلَّعانِ إلَيَّ ، وَ هَمَسْتُ : « لَقَدْ رَحَلوا جَميعًا . أَنْتِ الآنَ لي وَحْدي .. كِيانُكِ كُلُّهُ لي وَحْدي . »

وَقَفْتُ بِجِوارِ الفُسْتانِ وَ تَطَلَّعْتُ إلَيْهِ لِفَتْرةٍ طَويلةٍ ، وَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ : لَمْ يَتَحَرَّكْ . قُمْتُ بِلَمْسِهِ ، وَكانَ فُسْتانًا حَقيقِيًّا . وَ لَمَسْتُ الصُّورةَ ، وَكانَتْ حَقيقِيَّةً أَيْضًا .

كانَتْ عَيْنا جولي تَبْتَسِمانِ لي مِنْ خَلْفِ الزُّجاجِ ، فَخاطَبْتُ الصُّورةَ قائِلًا : « أُريدُكِ لي وَحْـدي لِلأَبَدِ . » ثُمَّ رَجَعْتُ إلى الفِراشِ ، وَ أَحْضَرْتُ وِسادةً ، وَ رَجَعْتُ إلى الفُسْتانِ الَّذي كانَ عَلى الأَرْضِ . وَضَعْتُ الوِسادةَ عَلى الصُّورةِ ، وَ أَبْقَيْتُها في هٰذا الوَضْعِ لِمُدَّةٍ طَويلةٍ . وَ حاوَلَ الفُسْتانُ أَنْ يُفْلِتَ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ ، وَ صَدَرَتْ عَنِ الصُّورةِ صَيْحاتٌ مَكْتومةٌ . وَفي النِّهايةِ سَكَنَ الفُسْتانُ . وَ ابْتَسَمْتُ لِنَفْسي .. لَقَدْ قَتَلْتُ جولي لِلْمَرَّةِ الثّانِيةِ . وَ انْفَجَرْتُ ضاحِكًا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ .

فَجْأَةً صَدَرَتْ عَنِ الصُّورةِ صَرْخةٌ مُدَوِّيةٌ .. تَلَتْها صَرَخاتٌ ،

فَتَراجَعْتُ – قافِزًا – في هَلَعٍ . وَ تَوَقَّفَتِ الصَّرَخاتُ ، وَ بَدَأَتْ صورةُ جولي تَتَغَيَّرُ .. لَمْ تَكُنْ تَبْتَسِمُ ، بَلْ كانَتْ تَبْكي . وَ لَمَسْتُ زُجاجَ الصُّورةِ ، وَكانَ مُبَلَّلا ، ثُمَّ انْفَلَتَتِ الصُّورةُ مِنْ يَدَيَّ . نَهَضْتُ واقِفًا ، وَ بَدَأَتِ الصُّورةُ تَرْتَفِعُ بِبُطْءٍ بَعيدًا عَنِ الأَرْضِ ، وَ تَحَرَّكَتْ نَحْوي ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ أَمامَ وَجْهي ، ثُمَّ سَقَطَتْ عَلى الأَرْضِ وَ تَكَسَّرَ زُجاجُها إلى أَلْفِ قِطْعةٍ . وَكانَتْ هُناكَ يَدٌ تُمَزِّقُ الصُّورةَ إلى قِطَعٍ صَغيرةٍ – مَزَّقَتِ الشَّعْرَ وَ العَيْنَيْنِ وَ الأَنْفَ وَ الفَمَ . وَ سُرْعانَ ما كانَتْ قِطَعُ الوَرَقِ الصَّغيرةُ تُغَطِّي الأَرْضَ حَوْلَ الفُسْتانِ ، ثُمَّ هَبَّتْ رِياحٌ عاتيةٌ في الحُجْرةِ ، دَفَعَتْ بِالفُسْتانِ عَبْرَ أَرْضيَّةِ الحُجْرةِ ، وَ دَفَعَتْ بِقِطَعِ الوَرَقِ الصَّغيرةِ إلى جَميعِ أَرْجاءِ الحُجْرةِ ؛ فَطارَتْ ، ثُمَّ نَزَلَتْ بِبُطْءٍ إلى الأَرْضِ كَقِطَعِ الثَّلْجِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الرِّياحُ .

كانَ الشَّبَحُ لايَزالُ في الحُجْرةِ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ . وَ قُلْتُ في نَفْسي : إنَّ اللُّعْبةَ قَدِ انْتَهَتْ ، إذًا يَجِبُ أَنْ أَرْجِعَ إلى السَّريرِ وَ أَضَعَ القابِسَ في المَقْبِسِ . لَقَدْ نِلْتُ كِفايَتي مِنْ هٰذِهِ اللُّعْبةِ . وَ الْتَقَطْتُ الوِسادةَ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إلى السَّريرِ .

كُنْتُ مُتْعَبًا لِلْغايةِ وَ أَميلُ لِلنَّوْمِ ؛ فَمِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَ بَحَثْتُ عَنِ القابِسِ . سَأَصْرِفُ الشَّبَحَ ، ثُمَّ أَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ . وَ لَمَسْتُ

القابِسَ ، وَ لٰكِنْ في اللَّحْظةِ الَّتي لَمَسْتُهُ فيها سَمِعْتُ ضِحْكةً شِرِّيرةً ، فَأَدْرَكْتُ أَنَّ اللُّعْبةَ لَمْ تَنْتَهِ بَعْدُ !

انْزَلَقَ القابِسُ مِنْ يَدي ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَجِدَهُ ثانيةً ، إلَّا أَنَّهُ كانَ في كُلِّ مَرَّةٍ أَصِلُ إلَيْهِ يَتَحَرَّكُ مُبْتَعِدًا ، فَقَبَضْتُ عَلى السِّلْكِ وَ « تَتَبَّعْتُهُ » بِأَصابِعي حَتَّى وَصَلْتُ إلى القابِسِ ، غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ رَفْعَهُ . كانَ يَتَحَرَّكُ عَبْرَ الأَرْضيَّةِ ، فَتَرَكْتُ الفِراشَ ، وَ جَلَسْتُ عَلى الأَرْضِ مُسْتَنِدًا عَلى رُكْبَتَـيَّ صَوْبَ القابِسِ ، إلَّا أَنَّهُ تَحَرَّكَ مُبْتَعِدًا عِنْدَما وَصَلْتُ إلَيْهِ . وَ اسْتَمَرَّتِ الضِّحْكةُ الشِّرِّيرةُ ، فَقُلْتُ مُتَوَسِّلًا : « أَرْجوكِ يا جولي ، أَرْجوكِ أَنْ تُعْطيني القابِسَ . » وَ تَقَدَّمَ القابِسُ نَحْوي ، وَ تَراقَصَ أَمامَ عَيْنَـيَّ ، وَ لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ لَمْسَهُ ، فَقُلْتُ : « لَنْ أَلْعَبَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، وَ سَأُغادِرُ الحُجْرةَ . »

حاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ البابَ ، وَ لٰكِنَّني أَخْفَقْتُ ، وَ أَخَذْتُ أَدُقُّ عَلى البابِ بِكِلْتا يَدَيَّ ، وَكُنْتُ أَدْفَعُهُ ثُمَّ أَجْذِبُهُ . لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْتَحَهُ ! كُنْتُ سَجينًا في حُجْرَتي ، فَأَخَذْتُ أَصيحُ : « إلى أَيْنَ أَذْهَبُ ؟ ماذا أَفْعَلُ ؟ أَنا الآنَ سَجينُكِ ، أَتَوَسَّلُ إلَيْكِ أَنْ تَدَعيني أَذْهَبُ .. أَرْجوكِ ! أَتَوَسَّلُ إلَيْكِ ! »

تَوَقَّفَ الضَّحِكُ الشِّرِّيرُ ، وَ سادَ الصَّمْتُ الحُجْرةَ ، ثُمَّ بَدَأَ شَيْءٌ ما يَدُقُّ بِخِفَّةٍ عَلى النَّافِذةِ . سَمِعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ صَوْتًا يَخْدِشُ الزُّجاجَ ، كَأَنَّ

أَظافِرَ تَخْدِشُهُ ، وَ لَمْ يَكُنْ زُجاجَ صورةِ جولي . أَرْهَفْتُ السَّمْعَ ثانِيةً ،
وَكانَ الصَّوْتُ صادِرًا عَنِ النّافِذةِ ؛ فَتَوَجَّهْتُ إلَيْها ، وَ نَظَرْتُ خارِجَها ..
كانَ هُناكَ وَجْهٌ عِنْدَ النّافِذةِ .. لَيْسَ لِجولي ، وَ لا لِأَيِّ شَخْصٍ ، بَلْ كانَ
وَجْهَ قِطَّةٍ !

كانَتِ القِطَّةُ قَدْ قَفَزَتْ إلى النّافِذةِ ، وَ وَقَفَتْ خارِجَها ، وَكانَتْ تَنْظُرُ
إلى داخِلِ حُجْرَتي . لَمْ تَكُنِ القِطَّةَ السَّوْداءَ نَفْسَها الَّتي رَأَيْتُها في
الصَّباحِ ، وَ إنَّما كانَتْ قِطَّةً بَيْضاءَ . لَقَدْ رَأَيْتُ هٰذِهِ القِطَّةَ مِنْ قَبْلُ في
مَكانٍ ما ، لٰكِنْ أَيْنَ ؟ حاوَلْتُ أَنْ أُرَكِّزَ تَفْكيري ، وَ تَذَكَّرْتُ فَجْأَةً ..
كانَتْ قِطَّةَ جولي بِالطَّبْعِ .

لَقَدْ كانَتْ جولي تُحِبُّ الحَيَواناتِ ، وَكانَتْ لَها قِطَّةٌ كَهٰذِهِ في
حَياتِها . قِطَّةٌ بَيْضاءُ جَميلةٌ .

وَ عِنْدَما ماتَتْ جولي – أَعْني بَعْدَ أَنْ قَتَلْتُها – اِخْتَفَتِ القِطَّةُ .. لَمْ
أَرَها بَعْدَ ذٰلِكَ قَطُّ ، وَلٰكِنَّها رَجَعَتِ الآنَ . نَظَرْتُ مِنْ خِلالِ النّافِذةِ ،
وَكانَ وَجْهُ القِطَّةِ مُلاصِقًا لِوَجْهي ، وَ لا شَيْءَ يَفْصِلُ بَيْنَنا غَيْرُ الزُّجاجِ .
وَكانَتْ عَيْنا القِطَّةِ حَمْراوَيْنِ وَ غاضِبَتَيْنِ ، وَ أَخَذَتِ القِطَّةُ تَخْدِشُ الزُّجاجَ
بِجُنونٍ ، فَطَرَقْتُ عَلى الزُّجاجِ مِنَ الدّاخِلِ ؛ وَ لٰكِنَّها لَمْ تَبْتَعِدْ ، بَلْ بَدَأَتْ
في البُكاءِ مِثْلَ طِفْلةٍ صَغيرةٍ ، وَ صَرَخْتُ : « كُفّي عَنْ ذٰلِكَ ! كُفّي ! »

جَرَيْتُ نَحْوَ بابِ حُجْرةِ النَّوْمِ ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَهُ . وَ مَرَّةً أُخْرى
لَمْ يَكُنْ مِنَ المُمْكِنِ فَتْحُهُ ، وَكانَتِ القِطَّةُ مُسْتَمِرَّةً في بُكائِها خارِجَ
النّافِذةِ .

وَ فَجْأَةً تَمَلَّكَتْني رَغْبةٌ جامِحةٌ في قَتْلِها . وَ نَظَرْتُ في الحُجْرةِ ،
مُحاوِلًا أَنْ أَجِدَ شَيْئًا . وَ تَمَلَّكَني الغَضَبُ إلى دَرَجةِ الجُنونِ . وَكانَتْ
خِزانةُ المَلابِسِ لا تَزالُ مُلْقاةً عَلى الأَرْضِ ، وَ قَدِ انْفَصَلَتْ عَنْها بَعْضُ
قِطَعِها ، فَالْتَقَطْتُ قِطْعةً سَميكةً مِنَ الخَشَبِ وَ جَرَيْتُ نَحْوَ النّافِذةِ .

تَطَلَّعَتِ القِطَّةُ إلَيَّ بِعَيْنَيْنِ حَمْراوَيْنِ ، وَ بَدَأَتْ تَبْكي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ؛
فَطَرَقْتُ النّافِذةَ بِقِطْعةِ الخَشَبِ بِشِدَّةٍ ، فَتَهَشَّمَ الزُّجاجُ إلى قِطَعٍ صَغيرةٍ
جِدًّا .

ضَحِكْتُ وَ شَعَرْتُ بِالسَّعادةِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ مِنْ خِلالِ النّافِذةِ
المَكْسورةِ ، وَ لٰكِنْ لَمْ أَرَ شَيْئًا . فَلا قِطَّةَ وَ لا صَوْتَ وَلا أَيَّ شَيْءٍ !
مُدْهِشٌ ، لَقَدِ انْصَرَفَتْ !

رُبَّما لَمْ تَكُنْ هُناكَ قَطُّ ، رُبَّما كانَتْ مُجَرَّدَ تَخَيُّلاتٍ .. لا بُدَّ لي مِنْ
ضَبْطِ النَّفْسِ . إنَّني أَتَخَيَّلُ الأَشْياءَ !
وَلٰكِنَّني في الواقِعِ لَمْ أَكُنْ أَتَخَيَّلُ الأَشْياءَ ، لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا خَلْفي ،
فَقَفَزْتُ مَذْعورًا .. كانَ الصَّوْتُ لِطِفْلةٍ صَغيرةٍ ، فاسْتَدَرْتُ – فَزِعًا –



وَ رَأَيْتُها .. ٱلقِطَّةَ ٱلبَيْضاءَ ! كانَتْ تَرْنو إلَـيَّ ، وَكانَتِ الدِّماءُ تُغَطِّي وَجْهَها ! نَظَرْتُ إلى يَدَيَّ .. كانَتا مُلَطَّخَتَيْنِ بِالدِّماءِ أَيْضًا ! كُنْتُ ما زِلْتُ مُمْسِكًا بِقِطْعَةِ ٱلخَشَبِ ، وَ صَرَخْتُ بِأَعْلى صَوْتي في ٱلقِطَّةِ : « إذًا أَنْتِ ما زِلْتِ حَيَّةً ! » وَ جَرَيْتُ نَحْوَها مُحاوِلًا ضَرْبَها مَرَّةً أُخْرى ، وَكانَتْ خُطُواتي تَدُقُّ بِشِدَّةٍ عَلى ٱلأَرْضِ . ضَرَبْتُ ٱلقِطَّةَ فَوْقَ رَأْسِها ، ثُمَّ حاوَلْتُ أَنْ أُعيدَ ٱلكَرَّةَ ، وَ لٰكِنَّها اخْتَفَتْ ! ثُمَّ ظَهَرَتْ ثانِيَةً في رُكْنٍ آخَرَ مِنَ ٱلحُجْرَةِ ، وَكانَتْ تَنْظُرُ إلَـيَّ بِعَيْنَيْها ٱلحَمْراوَيْنِ . وَ جَرَيْتُ خَلْفَها وَ حاوَلْتُ أَنْ أُسَدِّدَ إلَيْها الضَّرَباتِ ، وَ لٰكِنَّ ٱلقِطَّةَ كانَتْ تَخْتَفي في كُلِّ مَرَّةٍ . وَ عِنْدَ ظُهورِها – في كُلِّ مَرَّةٍ – كانَتْ تَبْدو مُلَطَّخَةً بِالدِّماءِ .

وَ سَرْعانَ ما غَطَّتِ الدِّماءُ جِسْمَها كُلَّهُ ، وَ لٰكِنَّها – مَعَ ذٰلِكَ – كانَتْ تَظْهَرُ لي مَرَّةً تِلْوَ ٱلأُخْرى ، مَرَّةً هُنا ، وَ مَرَّةً هُناكَ ! مَرَّةً أَمامي ، وَ مَرَّةً خَلْفي ! أَحْيانًا عَلى ٱلأَرْضِ ، وَ أَحْيانًا – أُخْرى – عَلى السَّريرِ ! بَلْ وَ أَحْيانًا في ٱلهَواءِ ! تَوَقَّفَ ٱلبُكاءُ أَخيرًا ، وَ اخْتَفَتِ ٱلقِطَّةُ وَ لَمْ تَعُدْ .

فَكَّرْتُ .. أَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ كُلُّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ قَدْ حَدَثَتْ في مُخَيِّلَتي فَقَطْ ، وَ أَنَّها تَخَيُّلاتٌ ؟ مُجَرَّدُ تَخَيُّلاتٍ ؟ !

لا بُدَّ لي إذًا مِنْ أَنْ أَتَحَكَّمَ في أَعْصابي . نَعَمْ ، لا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ . تَذَكَّرْتُ ٱلقابِسَ . كُنْتُ أَبْحَثُ عَنِ ٱلقابِسِ .. لا بُدَّ أَنْ أَجِدَهُ . إنَّني سَجينٌ في حُجْرَتي ، وَالشَّبَحُ يَحْتالُ عَلَـيَّ ، فَإنْ تَمَكَّنْتُ مِنَ ٱلعُثورِ عَلى ٱلقابِسِ ، أَمْكَنَني أَنْ أَصْرِفَهُ .

جَثَوْتُ عَلى رُكْبَتَـيَّ لِكَيْ أَبْحَثَ عَنِ ٱلقابِسِ ، وَكانَ لايَزالُ عَلى ٱلأَرْضِ بِجِوارِ سَريري . زَحَفْتُ بِبُطْءٍ وَخِفَّةٍ نَحْوَهُ مِثْلَ ٱلقِطَّةِ ، وَكَأَنَّ ٱلقابِسَ عُصْفورٌ ، وَكَأَنِّي قِطَّةٌ .

هَمَسْتُ : « سَأُمْسِكُ بِكَ أَيُّها ٱلعُصْفورُ الصَّغيرُ . » كُنْتُ أَقْتَرِبُ مِنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حابِسًا أَنْفاسي ، ثُمَّ انْقَضَضْتُ عَلَيْهِ !

اِحْتَوَيْتُ ٱلقابِسَ بَيْنَ يَدَيَّ . أَخيرًا أَصْبَحَ في يَدي ! قَبَضْتُ عَلَيْهِ ! لَمْ يُفْلِتْ مِنِّي هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ . كانَ لا بُدَّ لِـيَ ٱلآنَ أَنْ أَجِدَ ٱلمَقْبَسَ ، فَتَحَسَّسْتُ

ٱلحائطَ بِأَصابِعي . أَيْنَ ٱلمَقْبِسُ ؟ نَعَمْ ، ها هُوَ ذا . لَمْ يَسْحَبِ الشَّبَحُ ٱلقابِسَ مِنْ يَدي ، فَوَضَعْتُ ٱلقابِسَ في ٱلمَقْبِسِ ؛ وَعادَ النُّورُ .

قَفَزْتُ إلى ٱلفِراشِ ، وَٱسْتَلْقَيْتُ عَلى ظَهْري . أَخيرًا ، كانَ الضَّوْءُ يَغْمُرُ حُجْرَتي ، فَجُلْتُ بِبَصَري في ٱلحُجْرَةِ ، وَلَمْ أُصَدِّقْ عَيْنَيَّ . لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ زُجاجٍ مَكْسورٍ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلَمْ تَكُنْ خِزانَةُ ٱلمَلابِسِ مُلْقاةً عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلَمْ تَكُنِ النّافِذَةُ مَكْسورَةً . كُلُّ شَيْءٍ في حُجْرَتي كانَ سَليمًا وَفي مَكانِهِ ! وَكانَتِ الصُّورَةُ – صورةُ جولي – في مَكانِها عَلى ٱلحائِطِ ، وَ كانَ وَجْهُها يَبْتَسِمُ لي ، وَكانَتْ خِزانَةُ ٱلمَلابِسِ في مَكانِها في رُكْنِ ٱلحُجْرَةِ ، وَكانَ بابُ ٱلخِزانَةِ مُغْلَقًا .

نَهَضْتُ مِنَ ٱلفِراشِ وَفَتَحْتُها ؛ فَرَأَيْتُ مَلابِسي داخِلَها . وَكانَ هُناكَ أَيْضًا فُسْتانُ جولي ، وَكان مَقْعَدي في مَكانِهِ !

تَوَجَّهْتُ إلى بابِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَهُ ؛ فانْفَتَحَ بِسُهولَةٍ ، ثُمَّ أَغْلَقْتُهُ ثانِيَةً .

بَدَأْتُ أَضْحَكُ مِنْ نَفْسي ، وَقُلْتُ : « إِنَّني تَخَيَّلْتُ كُلَّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ ! الرَّقْصَ ، ٱلقِطَّةَ .. كُلُّها مِنَ ٱخْتِلاقِ خَيالي ! »

عُدْتُ إلى ٱلفِراشِ ، وَنَظَرْتُ إلى ٱلمُنَبِّهِ الَّذي كانَ عَلى مِنْضَدَةِ السَّريرِ ، وَكانَتِ السّاعَةُ الثّالِثَةَ وَالنِّصْفَ . جَلَسْتُ في ٱلفِراشِ أُفَكِّرُ لِمُدَّةِ

عَشْرِ دَقائِقَ تَقْريبًا ، وَكانَ ٱلمِصْباحُ مُضاءً ، إِلَّا أَنَّني كُنْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ غَريبٍ .. كانَ الشَّبَحُ لايَزالُ مَوْجودًا في ٱلحُجْرَةِ . لَقَدْ أَعَدْتُ ٱلقابِسَ إلى داخِلِ ٱلمَقْبِسِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ كانَ الشَّبَحُ لايَزالُ هُناكَ ! لَقَدِ ٱنْتَهَكَ الشَّبَحُ آخِرَ قاعِدَةٍ لِلُّعْبَةِ . نَعَمْ ، لَقَدْ دَفَعْتُ بِٱلقابِسِ إلى ٱلمَقْبِسِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَنْصَرِفْ !

مَلأَتْني هٰذِهِ ٱلفِكْرَةُ بِالذُّعْرِ وَٱلفَزَعِ ! لَقَدِ ٱنْتَهَكَ الشَّبَحُ جَميعَ قَواعِدِ اللُّعْبَةِ : فَلَمْ يَخْتَفِ مَعَ إِنارَةِ ٱلمِصْباحِ . وَ أَطْفَأْتُ النُّورَ « بِٱسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ » وَمَعَ ذٰلِكَ بَقِيَ « الطَّيْفُ الشِّرّيرُ . »

أَخْرَجْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَأَعَدْتُهُ عِدَّةَ مَرّاتٍ ، وَمَعَ ذٰلِكَ ظَلَّ الشَّبَحُ في ٱلحُجْرَةِ . كانَتِ ٱلحُجْرَةُ مُرَتَّبَةً ، وَلٰكِنَّها مَليئَةٌ بِالشَّرِّ .

أَطْفَأْتُ ٱلمِصْباحَ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أَنامَ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ . ثُمَّ حاوَلْتُ النَّوْمَ ، وَالنُّورُ مُضاءٌ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَيْضًا . في النِّهايَةِ أَطْفَأْتُ النُّورَ ، وَاسْتَلْقَيْتُ في ٱلفِراشِ .

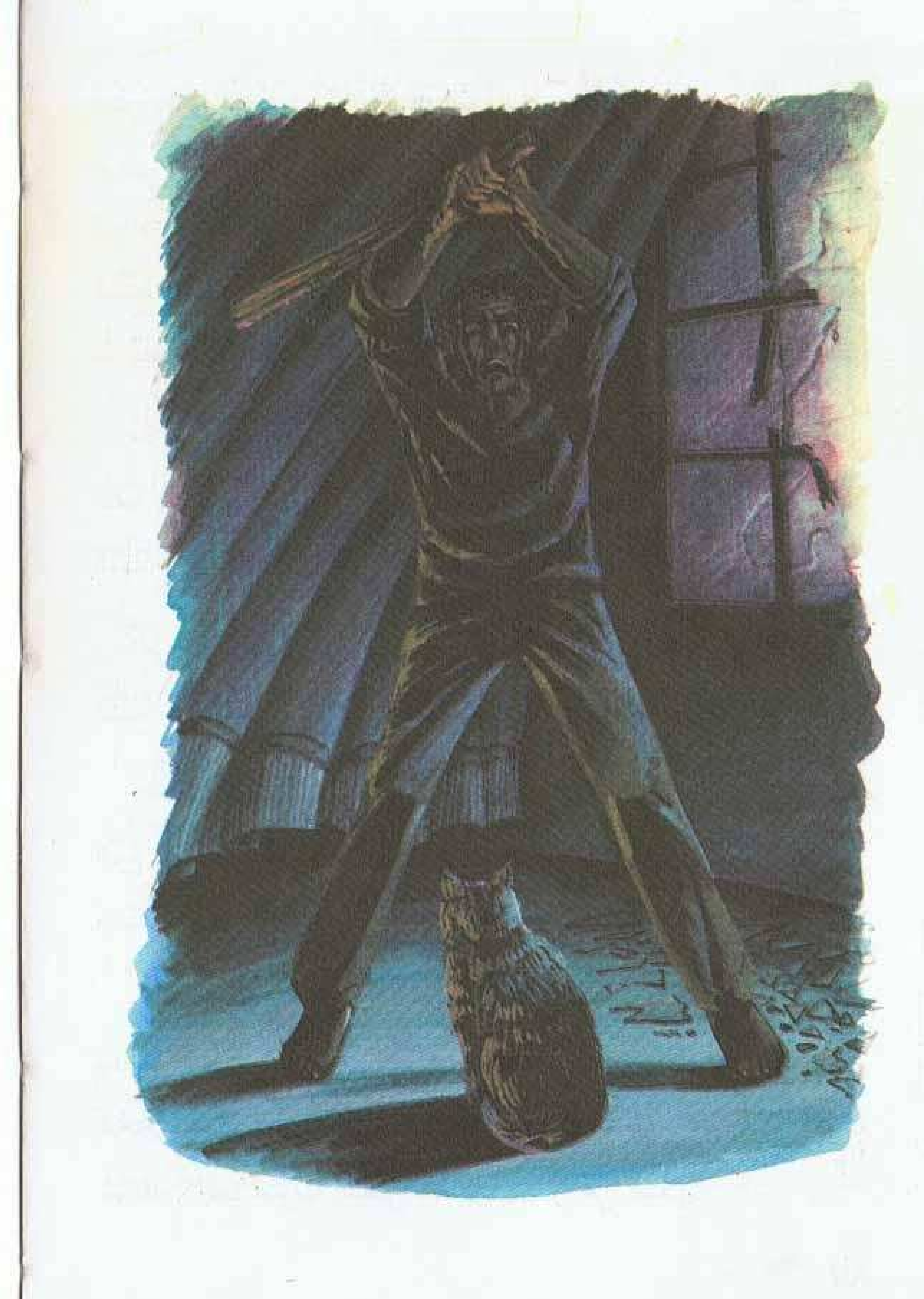
كُنْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى ٱلحُجْرَةَ بِجَميعِ تَفاصيلِها في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ ، وَفَجْأَةً سَمِعْتُ شَيْئًا يَتَنَفَّسُ بِعُمْقٍ . كانَ الصَّوْتُ صادِرًا مِنْ أَحَدِ أَرْكانِ ٱلحُجْرَةِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ ظِلًّا داكِنًا في رُكْنِ ٱلحُجْرَةِ . كانَ أَشْبَهَ بِغَمامَةٍ سَوْداءَ . كانَ صَوْتُ التَّنَفُّسِ ٱلعَميقِ يَصْدُرُ عَنِ الظِّلالِ .

بَدَأَتِ الظِّلالُ تَتَحَرَّكُ نَحْوي بِبُطْءٍ ، فَحاوَلْتُ أَنْ أَقْفِزَ مُبْتَعِدًا عَنِ ٱلفِراشِ ، وَلٰكِنَّني - لِفَزَعي - لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَرَّكَ . بَقيتُ مُسْتَلْقِيًا فى ٱلفِراشِ ، بَيْنَما ٱلغَمامَةُ السَّوْداءُ الرَّقيقَةُ تَقْتَرِبُ مِنّي .. تَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، حَتّى أَصْبَحَتْ مُعَلَّقَةً في ٱلهَواءِ فَوْقي مُباشَرَةً .

نَظَرْتُ إلى أَعْلى مُحَمْلِقًا فيها ، فَبَدَأَتْ تَهْبِطُ عَلَيَّ . كانَتِ ٱلحُجْرَةُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ في ظَلامٍ دامِسٍ ، فَقَدْ حَجَبَتِ ٱلغَمامَةُ ضَوْءَ ٱلقَمَرِ ، وَ قَبْلَ مُرورِ وَقْتٍ طَويلٍ كانَتْ تُغَطّيني وَ تُحيطُ بي . كُنْتُ لاأَزالُ أَسْمَعُ صَوْتَ نَفَسٍ عَميقٍ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ يَلْفَحُ وَجْهي . كانَ نَفَسَ شَبَحٍ شِرّيرٍ ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَصْرُخَ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ ، بَلْ لَمْ أَسْتَطِعِ التَّنَفُّسَ .

كُنْتُ - في نَفْسِ ٱلوَقْتِ - أَسْمَعُ صَوْتًا آخَرَ يَأْتي مِنَ ٱلخارِجِ ، وَكانَ صَوْتَ قِطَّةٍ خارِجَ نافِذَتي ، كانَتِ ٱلقِطَّةُ تَبْكي ، وَكَأَنَّها طِفْلٌ صَغيرٌ .

رَقَدْتُ تَحْتَ الظِّلالِ الدّاكِنَةِ ، كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّها ظِلالُ ٱلمَوْتِ .



اَلفصلُ التاسعُ

اَليَوْمُ .. الثّلاثاءُ

كُنْتُ في اللّيْلةِ الماضيةِ في ظِلالِ الْموْتِ ، وَ لٰكِنّني لاأزالُ حَيًّا . إنّني في هٰذِهِ اللّحْظةِ جالِسٌ في حُجْرةِ مكتبي أكْتُبُ هٰذِهِ القِصّةَ . السّاعةُ تُشيرُ الآنَ إلى العاشِرةِ مَساءً . لٰكِنّني مُتْعَبٌ جِدًّا لِأنّني لَمْ أسْتَطِعْ أنْ أنامَ لَيْلةَ أمْسِ دَقيقةً واحِدةً .

لَمْ تُلْحِقْ بِيَ الظّلالُ – الّتي وَصَفْتُها مِنْ قَبْلُ – أيَّ ضَرَرٍ . وَعِنْدما أشْرَقَ نورُ الصّباحِ اخْتفَتِ الظّلالُ ، فَنَهَضْتُ ، ثُمّ غادَرْتُ حُجْرَتي . كانَتِ الظّلالُ قَدِ اخْتَفَتْ ، وَلٰكِنَّ الشّبَحَ ظَلّ في الحُجْرةِ ، بَلْ إنّهُ في الحُجْرةِ الآنَ .

إنّني في حُجْرةِ مَكْتَبي الآنَ ، وَ لا يَسْتَطيعُ الشّبَحُ أنْ يُؤْذِيَني هُنا ، (أوْ لَعَلّي آمُلُ ذٰلِكَ) . كُنْتُ قَدْ حَضَرْتُ إلى حُجْرةِ مَكْتَبي في الخامِسةِ وَالنّصْفِ هٰذا الصّباحَ ، وَ انْهَمَكْتُ في كِتابةِ هٰذِهِ القِصّةِ مُنْذُ ذٰلِكَ الحينِ . الأوْراقُ تُغَطّي مَكْتَبي ، وَ أنا أكْتُبُ مُنْذُ أكْثَرَ مِنْ سِتَّ عَشْرَةَ ساعةً ، وَمازِلْتُ مُنْهَمِكًا في الكِتابةِ . لَمْ أتَناوَلْ شَيْئًا ، لَمْ أغْتَسِلْ ، وَمازِلْتُ مُرْتَدِيًا بيجامَتي ، وَالجَوُّ بارِدٌ بِالخارِجِ ، وَ بيجامَتي مَصْنوعةٌ مِنْ قُماشٍ خَفيفٍ . وَ مَعَ ذٰلِكَ لا أشْعُرُ بِالبَرْدِ ، لا أشْعُرُ إلّا بِشَيْءٍ واحِدٍ

فَقَطْ : أنّني مُتْعَبٌ ، مُتْعَبٌ جِدًّا .

أوْشَكْتُ على الانْتِهاءِ مِنْ قِصّتي . لَقَدْ حاوَلْتُ – في يَوْمٍ واحِدٍ طَويلٍ – أنْ أصِفَ حَياتي مُنْذُ مَوْتِ جولي . وَلَعَلّكَ لا تُصَدِّقُ أنّ أيَّ شَيْءٍ مِنْ هٰذا كُلِّهِ حَدَثَ بِالفِعْلِ ، وَلَعَلّكَ تَظُنُّني مَجْنونًا ، وَقَدْ تَقولُ : « إنّكَ لَقاتِلٌ ، وَضَميرُكَ يُعاقِبُكَ . » قَدْ تَظُنُّ أنّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ شَبَحٌ وَالأمْرُ مَرْجِعُهُ كُلُّهُ إلى ضَميري : اِخْتَلَقَ ضَميرِيَ الشّبَحَ . فَإذا راوَدَكَ أيٌّ مِنْ هٰذِهِ الظُّنونِ ، فَإنّكَ مُخْطِئٌ ، فَكُلُّ هٰذِهِ الأشْياءِ حَدَثَتْ بِالفِعْلِ !

بَدَأْتُ قِصّتي بِشَبَحٍ لَعوبٍ ، وَ انْتَهَتْ بِشَبَحٍ شِرّيرٍ . كُنّا في البِدايةِ نَلْعَبُ لُعْبةً جَميلةً ، وَ تَحَوّلَتِ اللُّعْبةُ – بِمُرورِ الزّمَنِ – إلى لُعْبةٍ خَطِرةٍ ! وَ اسْتَمَرّتْ هٰذِهِ اللُّعْبةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنةً . وَقَدْ عِشْتُ مَعَ زَوْجَتي جولي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنةً . إذًا فَتاريخُ اللُّعْبةِ يُساوي تاريخَ حَياتي مَعَ جولي .

كُنْتُ في البِدايةِ سَعيدًا مَعَها ، ثُمّ أصْبَحْتُ أغارُ مِنْ أصْدِقائِها ، ثُمّ سَيْطَرَتْ أفْكارٌ شِرّيرةٌ على تَفْكيري ؛ فَدَمّرْتُ جولي ، وَ دَمّرْتُ حَياتَنا مَعًا . كُنْتُ أُريدُ أنْ تَكونَ جولي لي ، لي وَحْدي . وَ حَدَثَ الشّيْءُ نَفْسُهُ في اللُّعْبةِ . كانَتْ لُعْبةً جَميلةً في البِدايةِ ، ثُمّ شَعَرَ الشّبَحُ بِالغَيْرةِ ، كانَ يُريدُني أنْ أكونَ وَحيدًا ، وَتَحَوّلَ إلى شَبَحٍ شِرّيرٍ ، وَ حاوَلَ أنْ يُدَمِّرَني .

وَ آلآنَ لا يَشْغَلُ تَفْكيري غَيْرُ سُؤالٍ واحِدٍ : هَلْ سَيُدَمِّرُني الشَّبَحُ ؟ في هٰذِهِ اللَّحْظَةِ أُحاوِلُ أَلّا أُفَكِّرَ في هٰذا السُّؤالِ ، وَسَأَتَوَصَّلُ إِلى آلإِجابَةِ عَنْهُ ، عِنْدَما أَذْهَبُ إِلى آلفِراشِ ، فَأَنا لا أَرْغَبُ في التَّفْكيرِ فيهِ آلآنَ .

وَ لٰكِنْ في أَيِّ شَيْءٍ أُفَكِّرُ ؟ لَمْ تَعُدِ آلأَشْياءُ – الَّتي اعْتَدْتُ التَّفْكيرَ فيها – ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لي . إِنَّ مُغامَراتِ فيلْبَرْت وايْلي أَشْبَهُ بِحُلْمٍ .

لَقَدْ أَصْبَحَتْ لُعْبَتي مَعَ الشَّبَحِ تُشَكِّلُ حَياتي كُلَّها . إِنَّني أَعْرِفُ تَمامًا أَنَّهُ يُمْكِنُني إِيقافُ اللُّعْبَةِ ، وَ تَغْييرُ مَجْرى حَياتي . وَ هُناكَ طَريقَةٌ واحِدَةٌ لِلْقِيامِ بِذٰلِكَ ، وَ هِيَ أَنْ أَحْكِيَ هٰذا السِّرَّ لِشَخْصٍ ما ، وَ أَنا أَعْرِفُ أَنَّ اللُّعْبَةَ عِنْدَئِذٍ سَتَتَوَقَّفُ . سَيَزورُني لِويس غَدًا ، وَ لٰكِنَّني لَنْ أَلْعَبَ الشِّطْرَنْجَ مَعَهُ . سَأَحْكي لَهُ هٰذِهِ آلقِصَّةَ ، وَ سَيَعودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلى سابِقِ عَهْدِهِ . ماذا سَيَعْتَقِدُ لِويس عِنْدَما أُخْبِرُهُ عَنْ هٰذِهِ آلقِصَّةِ ؟ لا أَعْرِفُ .

سَتَنْتَهي اللُّعْبَةُ إِذا أَخْبَرْتُ لِويس بِالسِّرِّ – وَ « إِذا » هُنا تُشيرُ إِلى شَرْطٍ صَعْبٍ .. هَلْ بِإِمْكاني أَنْ أُخْبِرَ لِويس عَنْ سِرّي ؟ لا أَدْري ! إِذا قُدِّرَ لي أَنْ أَعيشَ بَعْدَ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ ، فَمِنَ آلمُؤَكَّدِ أَنَّني سَأُخْبِرُهُ . أَمّا إِذا مِتُّ ، أَيْ إِذا لَمْ أُطْلِعْ لِويس عَلى قِصَّتي ، فَإِنَّها سَتَكونُ مُسَجَّلَةً في هٰذا آلمَخْطوطِ . وَ قَدْ يَجِدُ لِويس هٰذا آلمَخْطوطَ ، وَ يَقومُ بِنَشْرِهِ . وَ يا لَهُ مِنْ مَخْطوطٍ ! كُلُّهُ أَوْراقٌ مُبَعْثَرَةٌ عَلى مَكْتَبي ، وَ لا تَحْمِلُ هٰذِهِ آلأَوْراقُ

أَيَّةَ أَرْقامٍ . لَقَدْ كَتَبْتُها – كُلَّها – بِقَلَمِ آلرَّصاصِ ؛ وَ لِذٰلِكَ سَيَكونُ مِنَ الصَّعْبِ قِراءَتُها ، وَ لَيْسَ بَيْنَ عِباراتِها نُقَطٌ أَوْ فَواصِلُ . فَإِذا أَرادَ لِويس أَنْ يَنْشُرَ آلمَخْطوطَ ، فَعَلَيْهِ – أَوَّلًا – مُراجَعَتُهُ ، وَ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ مُراجَعَتَهُ مُراجَعَةً دَقيقَةً .

لَمْ أُفَكِّرْ في عُنْوانٍ جَذّابٍ لِلكِتابِ . وَ لَعَلَّ « لُعْبَةً خَطِرَةً » يَكونُ عُنْوانًا جَذّابًا . غَيْرَ أَنَّ مَخاوِفي لاأَساسَ لَها ، فَلَنْ أَموتَ ، وَ سَأُراجِعُ آلمَخْطوطَ وَ أَقومُ بِنَشْرِهِ بِنَفْسي ، وَ لَنْ يَرى لِويس هٰذا آلمَخْطوطَ أَبَدًا .

لَقَدْ كانَ يَوْمًا غَريبًا ، غَريبًا مِنْ عِدَّةِ نَواحٍ . لَمْ أَكُنْ قَدْ كَتَبْتُ كَلِمَةً واحِدَةً لِمُدَّةِ شَهْرٍ كامِلٍ ، أَمّا آليَوْمَ فَقَدْ كَتَبْتُ كِتابًا بِأَكْمَلِهِ . آليَوْمُ هُوَ الثّاني وَآلعِشْرونَ مِنْ شَهْرِ يَنايِر . لَقَدْ مَضى عَلى وَفاةِ جولي اثْنا عَشَرَ عامًا ، عِشْنا مَعًا أَرْبَعَةً وَ عِشْرينَ عامًا . يا لَهُ مِنْ يَوْمٍ !

بِآلأَمْسِ كانَتِ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً في سَماءٍ صافِيَةٍ ، أَمّا آليَوْمَ فَقَدِ امْتَلَأَتِ السَّماءُ بِالسُّحُبِ وَ آلغُيومِ . إِنَّهُ يَوْمٌ مِنْ أَيّامِ الشِّتاءِ آلحَقيقِيَّةِ ، سَأَذْكُرُهُ دائِمًا ، وَ لَنْ أَنْساهُ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ .

أَثْناءَ عَمَلي في آلكِتابِ آليَوْمَ ، نَظَرْتُ بِضْعَ مَرّاتٍ خارِجَ النّافِذَةِ ، وَ آلآنَ قَدْ حَلَّ آلظَّلامُ – بِطَبيعَةِ آلحالِ . لَقَدْ كانَتْ حَديقَتي – في فَتْرَةٍ سابِقَةٍ – خالِيَةً مِنَ آلقِطَطِ وَ ما شابَهَ ذٰلِكَ ، وَ لٰكِنْ لَمْ يَتَوافَرْ لي وَقْتٌ

كافٍ لِلنَّظَرِ كَثيرًا خارِجَ النّافِذةِ ، فَقَدْ كانَتْ قِصَّتي تَشْغَلُ تَفْكيري طَوالَ اَليَوْمِ .

حاوِلْ أَنْ تَتَخَيَّلَني في هٰذِهِ اللَّحْظةِ . إِنَّني جالِسٌ إِلى مَكْتَبي ، مِصْباحُ اَلمَكْتَبِ مُضاءٌ ، وَ لَمْ أُسْدِلْ سَتائِرَ حُجْرةِ اَلمَكْتَبِ . وَ اَلقَمَرُ في وَسَطِ السَّماءِ ، وَ يُمْكِنُني رُؤْيَتُهُ خِلالَ نافِذةِ اَلحُجْرةِ . إِنَّني وَحيدٌ في هٰذا اَلمَنْزِلِ الكَبيرِ . يَسودُ اَلبَيْتَ ظَلامٌ وَ صَمْتٌ ، وَ حُجْرةُ نَوْمي في الطَّرَفِ اَلآخَرِ مِنَ اَلمَنْزِلِ ، وَ أَعْرِفُ أَنَّهُ – آجِلًا أَوْ عاجِلًا – لا بُدَّ لي مِنَ التَوَجُّهِ إِلَيْها . بابُ حُجْرةِ نَوْمي مُغْلَقٌ ، غَيْرَ أَنَّني أَعْرِفُ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا خَلْفَهُ ، وَ أَعْرِفُ أَنَّ شَبَحَ جولي في اَلحُجْرةِ ، وَ أَنَّهُ في انْتِظاري . إِنَّني حينَ أَدْخُلُ تِلْكَ اَلحُجْرةَ أَكونُ قَدْ دَخَلْتُ عالَمًا شِرِّيرًا . وَ عِنْدَما تَكونُ خائِفًا ، فَإِنَّكَ تَنْظُرُ خَلْفَكَ طَوالَ اَلوَقْتِ . أَنْتَ تَكْرَهُ الظَّلامَ .. أَتَذْكُرُ حينَ كُنْتَ طِفْلًا ؟ عِنْدَما كُنْتُ طِفْلًا كانَ سَريري مُلاصِقًا لِلْحائِطِ ، وَكُنْتُ لا أَنامُ أَبَدًا وَ وَجْهي ناحِيَةَ الحائِطِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَخْشى أَنْ يَكونَ هُناكَ « شَيْءٌ ما » خَلْفي .

وَ لاتَزالُ هٰذِهِ اَلمَخاوِفُ وَاَلهَواجِسُ تُراوِدُني . وَ اللَّيْلَةَ لا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أَذْهَبَ إِلى حُجْرةِ نَوْمي وَحْدي ، وَ رُبَّما لا أَخْرُجُ مِنْها حَيًّا أَبَدًا .

كُنْتُ دائِمًا أَخافُ مِنَ اَلأَشْباحِ . وَفي طُفولَتي كُنْتُ عادةً أُسْدِلُ السَّتائِرَ ثُمَّ أَتَفَحَّصُها ، وَكانَتِ السَّتائِرُ مَنْقوشةً بِالأَزْهارِ ، وَ لٰكِنَّني اعْتَدْتُ

أَنْ أَرى في هٰذِهِ الرُّسومِ وُجوهًا .. كانَتِ اَلوُجوهُ تَبْدو لي أَحْيانًا سَعيدةً ، وَ أَحْيانًا أُخرى شِرِّيرةً ، وَ عِنْدَما كُنْتُ أُطْفِئُ النُّورَ كُنْتُ أَتَخَيَّلُها ، وَ قَدْ مَلَأَتِ اَلحُجْرةَ ، وَ اَلتَفَتُّ حَوْلي . كُنْتُ أَصْرُخُ أَحْيانًا ؛ فَتَأْتي أُمِّي إِلى اَلحُجْرةِ ، وَ لٰكِنْ إِذا صَرَخْتُ اللَّيْلةَ ، فَمَنْ ذا الَّذي يُسْرِعُ لِنَجْدَتي ؟ ! مَنْ ذا يَقولُ لي : « إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ يا عَزيزي ، نَمِ اَلآنَ ؛ لَقَدْ رَأَيْتَ حُلْمًا مُفْزِعًا . »

بِالتَّأْكيدِ لا أَحَدَ ، سَأَكونُ وَحْدي ، بِمُفْرَدي مَعَ بُولْدي – أَوْ جولي – مَعَ الشَّبَحِ .

لَعَلَّكَ تَسْأَلُني : « وَ لِمَ لا تَتْرُكُ اَلمَنْزِلَ ؟ ما زالَ أَمامَكَ وَقْتٌ كافٍ . لا تَبْقَ هُنا . لا تَلْعَبِ اللُّعْبةَ اللَّيْلةَ . » وَ لٰكِنَّني يَجِبُ أَنْ أَلْعَبَ اللُّعْبةَ مَرَّةً أُخرى . إِنَّني أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، وَلٰكِنَّني سَأَكونُ يَقِظًا تَمامًا . عِنْدَما تَبْدَأُ اَلمُباراةُ ، دائِمًا أَكونُ مُتَيَقِّظًا .

لِمَ لا أَتَّصِلُ هاتِفِيًّا بِلويس ؟ فَبِإِمْكانِهِ اَلحُضورُ ، وَ مُلازَمَتي اللَّيْلةَ . أَوَدُّ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ .. لَقَدْ حاوَلْتُ – مِرارًا – أَنْ أَتَّصِلَ بِلويس هاتِفِيًّا هٰذا اَلمَساءَ ، وَ لٰكِنَّ اَلحَرارةَ انْقَطَعَتْ عَنِ التِّليفونِ ، وَ لا أَسْمَعُ شَيْئًا حينَ أَرْفَعُ السَّمّاعةَ . إِنَّني مَعْزولٌ عَنِ العالَمِ . وَ عَلى ذٰلِكَ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ فَقَطْ يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ ، يَجِبُ أَنْ أَلْعَبَ اَلمُباراةَ . تُرى .. كَيْفَ سَتَكونُ

لُعْبَةُ اللَّيْلَةِ ؟ إِنَّنِي أَرْتَعِدُ عِنْدَما أُفَكِّرُ فيها ، وَ قَلْبي يَمْتَلِئُ رُعْبًا ، وَ يَدي تَرْتَعِشُ ٱلآنَ وَ هِيَ تَخُطُّ هٰذِهِ ٱلكَلِماتِ . ماذا سَيَحْدُثُ ؟ سَأَدْخُلُ حُجْرةَ النَّوْمِ ، وَ لَنْ أُضْطَرَّ لِجَذْبِ ٱلقابِسِ حَتَّى أَسْتَدْعِيَ الشَّبَحَ ، فالشَّبَحُ هُناكَ بِٱلفِعْلِ ، وَ سَأَذْهَبُ إلى ٱلفِراشِ وَ تَبْدَأُ اللُّعْبَةُ . وَ لٰكِنْ أَيُّ ضَرْبٍ مِنَ ٱلأَلْعابِ ؟ وَ عَلى أَيِّ صورةٍ سَتَكونُ نِهايَتُها ؟

أَعْرِفُ أَنَّني أَتَكَلَّمُ كَثيرًا ، أَوْ – بِالأَحْرى – أَكْتُبُ كَثيرًا ، وَ لَمْ يَعُدْ هُناكَ ما أُخْبِرُكَ بِهِ . إذًا لِمَ أَسْتَرْسِلُ في ٱلكِتابةِ؟ لا لِشَيْءٍ إلَّا لِأَسْتَأْنِسَ بِصُحْبَتِكَ . إنَّني أَكْتُبُ لِأَنَّني أَخْشى أَنْ أُغادِرَ حُجْرةَ ٱلمَكْتَبِ ، فَأَنا أَشْعُرُ بِٱلاطْمِئْنانِ هُنا ، وَ إذا تَوَقَّفْتُ عَنِ ٱلكِتابةِ ؛ فَسَأُضْطَرُّ إلى التَّوَجُّهِ إلى حُجْرةِ نَوْمي .

أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حانَ ٱلوَقْتُ ٱلآنَ ، لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلكِتابةِ ، وَ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أَقولُ لَكَ : « لَيْلَةً سَعيدةً » ، أَوْ – بِالأَحْرى – « وَداعًا » ، لَعَلَّهُ وَداعٌ لِلأَبَدِ .

اَلفَصْلُ ٱلعاشِرُ
اَلْمُلْحَقُ

إسْمي لِويس ، وَكَما عَرَفْتَ – مِنْ خِلالِ أَحْداثِ هٰذِهِ ٱلقِصَّةِ – كُنْتُ صَديقًا لِوِلْيَم هاريس . لَقَدْ أَضَفْتُ هٰذا ٱلمُلْحَقَ إلى كِتابِهِ لِكَيْ أُكْمِلَ ٱلقِصَّةَ .

ماتَ وِلْيَم في لَيْلَةِ الثّاني وَ ٱلعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ يَنايِر عامَ ٱلْفٍ وَتِسْعِمِئةٍ وَ سِتٍّ وَ سَبْعينَ ، وَ أَخْبَرَني الطَّبيبُ الشَّرْعِيُّ أَنَّهُ فارَقَ ٱلحَياةَ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ مُباشَرةً : أَيْ بَعْدَ ساعةٍ تَقْريبًا مِنْ ذَهابِهِ إلى ٱلفِراشِ .

لِماذا ماتَ وِلْيَم ؟ ما مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطيعُ تَفْسيرَ ذٰلِكَ ، فَمَوْتُهُ كانَ لُغْزًا مِثْلَ كَثيرٍ مِنَ ٱلأَحْداثِ في قِصَّتِهِ . كانَتْ حَياتُهُ لُغْزًا ، وَكَذٰلِكَ كانَتْ وَفاتُهُ . وَ لَمْ يَكُنْ لِوِلْيَم أَقارِبُ ، وَكُنْتُ صَديقَهُ ٱلوَحيدَ . لَقَدْ سَأَلَني رِجالُ الشُّرْطةِ كَثيرًا مِنَ ٱلأَسْئِلةِ عَنْ وِلْيَم ؛ وَ لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنْ إفادَتِهِمْ بِأَكْثَرَ مِمّا جاءَ في كِتابِهِ مِنْ مَعْلوماتٍ . وَ قامَ كَثيرٌ مِنْ ضُبّاطِ الشُّرْطةِ بِقِراءةِ مَخْطوطِ وِلْيَم ؛ وَ صَدَّقَ بَعْضُهُمْ قِصَّتَهُ ، وَ شَكَّ فيها ٱلآخَرونَ .

إنَّ مَوْتَهُ لُغْزٌ فِعْلًا !

وَجَدْتُ مَخْطوطَ قِصَّةِ « لُعْبةٌ خَطِرةٌ » في حُجْرةِ مَكْتَبِ وِلْيَم ، وَ ذٰلِكَ

في لَيْلَةِ مَوْتِهِ ، وَ بَعْدَ مُرورِ عِدَّةِ أَيامٍ سَمَحَتْ لِي الشُّرْطَةُ بِأَخْذِ ٱلمَخْطوطِ مَعي لِلْمَنْزِلِ . كانَ ٱلمَخْطوطُ – بِأَكْمَلِهِ – في حُجْرَةِ ٱلمَكْتَبِ تَمامًا كَما تَرَكَهُ وِلْيَم ، وَكانَتْ هُناكَ أَوْراقٌ كَثيرةٌ تُغَطّي ٱلمَكْتَبَ ، وَكَذٰلِكَ أَرْضِيَّةَ ٱلحُجْرَةِ ، كَما كانَتْ هُناكَ عِدَّةُ أَقْلامٍ عَلى ٱلمَكْتَبِ .

إِنَّني أَكْتُبُ هٰذا ٱلمُلْحَقَ بَعْدَ مُرورِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلى مَوْتِ وِلْيَم ، وَقَدِ انْتَهَيْتُ – مُنْذُ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ – مِنْ مُراجَعةِ ٱلمَخْطوطِ . وَكانَ وِلْيَم قَدْ كَتَبَ « لُعْبَةٌ خَطِرَةٌ » – وَ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عُنْوانٌ « مُناسِبٌ » ، وَلِذا سَأُبْقي عَلَيْهِ كَما هُوَ – في يَوْمٍ واحِدٍ طَويلٍ ، وَلٰكِنَّني قَضَيْتُ وَقْتًا طَويلًا في تَرْتيبِها . كَتَبَ وِلْيَم ٱلقِصَّةَ في عَجَلَةٍ ؛ لِذا كانَ مِنَ الصَّعْبِ قِراءَةُ ٱلمَخْطوطِ ، وَلَمْ يَضَعْ نُقَطًا في أَواخِرِ ٱلجُمَلِ ، وَلَمْ يَضَعْ فَواصِلَ ، وَلَمْ تَكُنْ عِباراتُهُ كامِلَةً ؛ وَلِهٰذِهِ ٱلأَسْبابِ لَمْ يَكُنْ إِعْدادُ ٱلمَخْطوطَةِ وَجَعْلُها صالِحَةً لِلنَّشْرِ أَمْرًا هَيِّنًا . وَقَدْ قُمْتُ بِتَقْسيمِ ٱلكِتابِ إِلى فُصولٍ ؛ لِذا آمُلُ أَنْ يَكونَ سَهْلَ ٱلقِراءَةِ . وَقَدْ أَعْطَيْتُ لِكُلِّ فَصْلٍ عُنْوانًا ، إِلّا أَنَّني لَمْ أُضِفْ كَلِمَةً إِلى قِصَّةِ وِلْيَم ، وَلَمْ أَقْتَطِعْ مِنْها شَيْئًا ، فَهِيَ – تَمامًا – كَما كَتَبَها . وَقُمْتُ بِنَشْرِ هٰذِهِ ٱلقِصَّةِ ، لِأَنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ وِلْيَمَ يُريدُ مِنّي أَنْ أَنْشُرَها .

وَفي أَثْناءِ قِيامي بِمُراجَعةِ هٰذِهِ ٱلقِصَّةِ ، سَأَلْتُ نَفْسي أَسْئِلَةً كَثيرةً عَنْ وِلْيَم . وَقَدْ تَضَمَّنَ كِتابُهُ ٱلإِجابَةَ عَنْ بَعْضِ أَسْئِلَتي ، بَيْنَما بَقِيَتِ ٱلأُخْرى دونَ إِجابَةٍ .

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ وِلْيَم لَمْ يَكُنْ سَليمًا – أَعْني مِنَ النّاحِيَةِ ٱلعَقْلِيَّةِ . فَقَدْ كانَ ذِهْنُهُ مَشْغولًا – دائِمًا – بِشَيْءٍ ما ، وَكُنْتُ أَلْحَظُ ذٰلِكَ في كُلِّ مَرَّةٍ نَلْتَقي فيها . وَلَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ جَيِّدًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ قِسْطًا كافِيًا مِنَ النَّوْمِ ، وَكُنْتُ أَلْحَظُ ذٰلِكَ أَيْضًا . وَفي السَّنَةِ الَّتي سَبَقَتْ مَوْتَهُ كانَ جِسْمُهُ يَزْدادُ نُحولًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِالطَّعامِ أَوْ بِعَمَلِهِ أَوْ بِمُبارَياتِ الشِّطْرَنْجِ الَّتي كُنّا نَلْعَبُها مَعًا . لَمْ يَكُنْ – في ٱلواقِعِ – مُهْتَمًّا بِٱلحَياةِ ذاتِها ! بِالتَّأْكيدِ كانَ مُهْتَمًّا بِشَيْءٍ ما ، وَلٰكِنَّ هٰذا « الشَّيْءَ » كانَ لُغْزًا بِالنِّسْبَةِ لي ، وَلَمْ يُخْبِرْني بِهِ قَطُّ . كانَ هٰذا الشَّيْءُ هُوَ سِرَّهُ الَّذي آثَرَ أَنْ يُخْفِيَهُ عَنّي .

رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَدْعِيَ طَبيبًا ، وَلٰكِنَّهُ رَفَضَ . وَكانَتْ مُبارَياتُ الشِّطْرَنْجِ الَّتي لَعِبْناها أَثْناءَ ٱلعامِ الَّذي سَبَقَ مَوْتَهُ تَبْدو سَخيفَةً مُمِلَّةً ، فَلَمْ يَعُدْ وِلْيَم يَلْعَبُ بِحَماسَةٍ أَوِ اهْتِمامٍ . فَقَدْ كانَ دائِمًا يَتَوَقَّفُ أَثْناءَ ٱلمُباراةِ ، وَيَنْظُرُ إِلى أَعْلى ، نَحْوَ السَّقْفِ . وَكانَ يُحاوِلُ أَنْ يُرْهِفَ السَّمْعَ إِلى شَيْءٍ ما . هَلْ تَذْكُرُ أَنَّني – ذاتَ مَرَّةٍ – سَأَلْتُهُ عَنْ بولْدي ، وَ أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يُخْبِرَني بِأَيِّ شَيْءٍ عَنْهُ ؟

قالَ في كِتابِهِ إِنَّهُ كانَ يَسْمَعُ صَوْتَ طَرَقاتٍ آتِيَةً مِنَ ٱلحُجْرَةِ في الطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، هَلْ كانَ هُناكَ فِعْلًا صَوْتُ طَرَقاتٍ ؟ لا أَدْري . فَلَمْ أَسْمَعْهُ بِنَفْسي .

أَكانَ وِلْيم مَجْنونًا ؟ أَحَدَثَتْ فِعْلًا كُلُّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ ، أَمْ كانَتْ وَليدةَ خَيالِهِ ؟ لا أَدْري ! كانَ لِوِلْيم – بِالتَّأْكيدِ – خَيالٌ خِصْبٌ ، وَ لَعَلَّكَ قَرَأْتَ لَهُ قِصَصَ فيلْبَرْت وايْلي . إذا كُنْتَ قَدْ قَرَأْتَها ، فَلا بُدَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ ٱلكَثيرَ عَنْ خَيالِ وِلْيم . فَفي إحْدى هٰذِهِ ٱلقِصَصِ – لا أَذْكُرُ عُنْوانَها ٱلآنَ – نَرى فيلْبَرْت وايْلي سَجينًا في بَيْتٍ تَسْكُنُهُ ٱلأَشْباحُ .

لَعَلَّكَ تَذْكُرُ ٱلمَشْهَدَ . لَقَدْ مَرَّ هٰذا ٱلمَشْهَدُ بِخاطِري عِنْدَما قَرَأْتُ هٰذِهِ ٱلقِصَّةَ . وَكانَ وِلْيم كاتِبًا بِمَعْنى ٱلكَلِمةِ ، فَهُوَ يَقولُ في قِصَّتِهِ إنَّهُ كانَ شَخْصًا مُمِلًّا . صَحيحٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَياةٌ مُثيرةٌ (إذا سَأَلْنا عَنْ مَعْنى هٰذِهِ ٱلكَلِمةِ في ٱلواقِعِ) ، وَلٰكِنْ كانَ عَقْلُهُ قادِرًا عَلى إثارةِ ٱلاِهْتِمامِ . يُمْكِنُكَ أَنْ تُدْرِكَ ذٰلِكَ مِنْ مُلاحَظةِ كَيْفَ يَعْمَلُ عَقْلُهُ في قِصَصِهِ ٱلبوليسيَّةِ ، وَيُمْكِنُكَ مُتابَعةَ ذٰلِكَ في كِتابِهِ هٰذا .

هَلْ قَتَلَ وِلْيم جولي ؟ سُؤالٌ هامٌّ آخَرُ ! لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ ٱلجَزْمُ بِشَيْءٍ حَوْلَ ذٰلِكَ . إنَّني عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُ كانَ يُحِبُّها بِعُمْقٍ .

لَعَلَّ وِلْيم كانَ غَيورًا ، إلّا أَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ هٰذا قَطُّ . لَقَدْ وَصَفَ جولي وَصْفًا جَيِّدًا في قِصَّتِهِ . كانَتْ جولي شَخْصيَّةً رائِعةً ، أَحْبَبْناها كُلُّنا ، وَكانَتْ لَها ـ بِطَبيعةِ ٱلحالِ ـ شَخْصيَّةٌ مُخْتَلِفةٌ جِدًّا عَنْ شَخْصيَّةِ وِلْيم . كانَتْ لَها قُوَّةٌ خَفيَّةٌ تَجْذِبُ ٱلجَميعَ إلَيْها ، وَكانَتْ – دائِمًا –

ضَحوكًا وَتُحِبُّ ٱلغِناءَ ، وَكانَتْ رَفيقةً مُمْتِعةً . وَقَدْ أَفادَتْ وِلْيم كَثيرًا ، وَجَعَلَتْهُ يَرى ٱلعالَمَ ، وَكانَ هُوَ يَنْعَمُ بِحَياتِهِ مَعَها ، وَلٰكِنْ بَعْدَ مَوْتِها تَحَوَّلَ إلى شَخْصٍ مُخْتَلِفٍ تَمامًا . فَقَدْ عَزَلَ نَفْسَهُ عَنِ ٱلعالَمِ ، وَ انْكَبَّ عَلى ٱلكِتابةِ ، وَ أَغْرَقَ نَفْسَهُ فيها ، حَتّى أَصْبَحَ في النِّهايةِ وَحيدًا ، لا صَديقَ لَهُ غَيْري . وَكانَ ذٰلِكَ لِأَنَّني كُنْتُ أَعْرِفُهُ مُنْذُ عَهْدٍ طَويلٍ ، يَوْمَ كُنّا طُلّابًا . كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْتَقيَ بِجولي . نَعَمْ ، كُنْتُ أَعْرِفُهُ تَمامًا ، غَيْرَ أَنَّ هُناكَ ٱلكَثيرَ ما زِلْتُ أَجْهَلُهُ عَنْهُ . هَلْ قَتَلَ جولي ؟ أَجِدُ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَصْديقُ ذٰلِكَ ، وَلا يَعْني ذٰلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْها . بَلْ لَعَلَّهُ قَتَلَها فِعْلًا . وَعلى أَيَّةِ حالٍ هُناكَ حَقيقةٌ واحِدةٌ مُؤَكَّدةٌ : ماتَ وِلْيم في مِثْلِ ٱليَوْمِ الَّذي ماتَتْ فيهِ جولي ، وَكانَ ذٰلِكَ في الثّاني وَ ٱلعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ يَناير ، بَعْدَ مُرورِ اثْنَتَيْ عَشْرةَ سَنةً عَلى مَوْتِها ، وَ لا أَسْتَطيعُ تَفْسيرَ هٰذا اللُّغْزِ .

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ وِلْيم لَمْ يَكُنْ عَلى ما يُرامُ ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ كَثيرًا أَنْ يَتْرُكَ ٱلمَنْزِلَ . طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَأْتيَ مَعي وَ يَبْقى مَعي ؛ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتْرُكَ بَيْتَهُ . وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً أَنْ أُقيمَ مَعَهُ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُريدُ صُحْبَتي ، وَعَلى ذٰلِكَ كُنْتُ دائِمًا أَعودُ لِمَنْزِلي بَعْدَ انْتِهاءِ مُبارَياتِنا في الشِّطْرَنْجِ كُلَّ يَوْمِ أَرْبِعاءِ . لَمْ نَكُنْ نَتَحَدَّثُ كَثيرًا أَثْناءَ مُبارَياتِنا ، وَكُنْتُ دائِمًا أَذْهَبُ إلى بَيْتِهِ ، لِأَنَّني أَعْرِفُ أَنَّهُ كانَ يَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتي مِثْلَما كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِهِ .

قالَ وِلْيَم في قِصَّتِهِ إنَّهُ حاوَلَ أَنْ يَتَّصِلَ بي تِليفونيًّا في لَيْلَةِ مَوْتِهِ ، وَ يَذْكُرُ أَنَّ التِّليفونَ لَمْ تَكُنْ بِهِ حَرارَةٌ – وَهٰذا لُغْزٌ مُحَيِّرٌ أَيْضًا ، فَلَقَدِ اسْتَخْدَمْتُ التِّليفونَ لِاسْتِدْعاءِ الشُّرْطَةِ بَعْدَ أَنْ وَجَدْتُهُ مَيِّتًا ، وَكانَ التِّليفونُ يَعْمَلُ . هَلْ كانَ وِلْيَم يَتَخَيَّلُ أَنَّهُ لا يَعْمَلُ ؟ هَلْ كانَ لا يَعْمَلُ حَقيقةً ؟ إذا كانَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ ، فَكَيْفَ حَدَثَ ذٰلِكَ ؟ وَعَلى هٰذا قَدْ تَكونُ قِصَّةُ وِلْيَم صادِقَةً أَوْ غَيْرَ صادِقَةٍ ، فَإذا كانَتْ صادِقَةً ، فلا بُدَّ مِنْ قَبولِها . كانَ وِلْيَم ضَحِيَّةً لِقُوًى شِرِّيرَةٍ ، لِشَبَحٍ غَيورٍ (شَبَحُ مَنْ كانَ هٰذا ؟ لا أَسْتَطيعُ الجَزْمَ بِشَيْءٍ) . وَقَدْ تَكونُ القِصَّةُ غَيْرَ صادِقَةٍ ، وَعَلى ذٰلِكَ لا بُدَّ أَنْ نُسَلِّمَ بِأَنَّ وِلْيَم قَدِ اخْتَلَقَها كُلَّها ، وَهٰذا يَعْني أَنَّهُ كانَ ضَحِيَّةَ خَيالِهِ هُوَ ؛ فَأَصْبَحَ في النِّهايَةِ مَجْنونًا فِعْلًا . وَلَمْ يَعُدْ يَحْيا في عالَمِنا ، وَقَتَلَهُ خَيالُهُ . وَهُوَ افْتِراضٌ قائِمٌ بِطَبيعَةِ الحالِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ ، إلّا أَنَّني لَنْ أَتَوَصَّلَ أَبَدًا لِحَلِّ هٰذا اللُّغْزِ .

الشَّيْءُ الوَحيدُالَّذي يُمْكِنُني عَمَلُهُ الآنَ ، هُوَ إعْطاءُ وَصْفٍ تَفْصيلِـيٍّ لِلَيْلَةِ الأَرْبِعاءِ ، في اليَوْمِ الثّالِثِ وَالعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ يَنايِر .

وَصَلْتُ إلى بَيْتِ وِلْيَم في الوَقْتِ المُعْتادِ ، أَيْ قُبَيْلَ الثّامِنَةِ بِقَليلٍ ، وَكانَ المَنْزِلُ مُظْلِمًا تَمامًا ؛ وَهٰذا ما دَهِشْتُ لَهُ ، فَعادَةً ما تَكونُ إحْدى الحُجُراتِ مُضاءَةً . طَرَقْتُ البابَ الأَمامِيَّ وَ انْتَظَرْتُ .. ما مِنْ إجابَةٍ ! وَدَهِشْتُ لِهٰذا أَيْضًا ، فَقَدْ كانَ مِنْ عادَةِ وِلْيَم أَنْ يَفْتَحَ البابَ في الحالِ .

وَظَنَنْتُ أَنَّهُ خَرَجَ ، وَلٰكِنَّ هٰذا الاِحْتِمالَ بَعيدٌ ، فَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ كَثيرًا ، وَدائِمًا يَكونُ بِالبَيْتِ في كُلِّ يَوْمِ أَرْبِعاءَ ، بَلْ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ قَطُّ في يَوْمِ الأَرْبِعاءِ .

أَخَذْتُ أَطْرُقُ البابَ بِعُنْفٍ ؛ وَلٰكِنْ ما مِنْ إجابَةٍ أَيْضًا ؛ فَحاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ البابَ الأَمامِيَّ ؛ وَلَمْ أَسْتَطِعْ ؛ فَذَهَبْتُ إلى البابِ الخَلْفِيِّ ، وَطَرَقْتُهُ ، وَ انْتَظَرْتُ مَرَّةً أُخْرى .. وَما مِنْ إجابَةٍ ! وَ حاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ هٰذا البابَ أَيْضًا ؛ وَلَمْ أَتَمَكَّنْ ؛ فَنادَيْتُ وِلْيَم بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ عِدَّةَ مَرّاتٍ ؛ وَلٰكِنْ ما مِنِ اسْتِجابَةٍ ، فَأَلْقَيْتُ بِضْعَ حَصَياتٍ صَغيرَةٍ عَلى نَوافِذِ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ؛ فَلَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ عِنْدَ أَيٍّ مِنْها . إنَّهُ لَشَيْءٌ غَريبٌ !

وَ دُرْتُ حَوْلَ المَنْزِلِ ، وَنَظَرْتُ إلى النَّوافِذِ في الطّابَقِ الأَرْضِيِّ ، وَكانَتْ كُلُّها مُغْلَقَةً . وَلٰكِنَّني وَجَدْتُ في النِّهايَةِ نافِذَةً صَغيرَةً كانَتْ مَفْتوحةً . إنَّها نافِذَةُ المَطْبَخِ خَلْفَ المَنْزِلِ . تَسَلَّقْتُ النّافِذَةَ ثُمَّ دَخَلْتُ مِنْ خِلالِها (لَمْ يَكُنِ الأَمْرُ سَهْلًا !) ثُمَّ أَضَأْتُ نورَ المَطْبَخِ .

كانَ كُلُّ شَيْءٍ في المَطْبَخِ مُرَتَّبًا . صَحيحٌ أَنَّ وِلْيَم يَعيشُ بِمُفْرَدِهِ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ شَخْصًا مُنَظَّمًا لِلْغايَةِ ، وَكانَ المَكانُ نَظيفًا وَمُرَتَّبًا .

ذَهَبْتُ مُباشَرَةً إلى حُجْرَةِ المَعيشَةِ ، حَيْثُ كُنّا نَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ دائِمًا ، وَ أَضَأْتُ النّورَ . كانَتْ هٰذِهِ الغُرْفَةُ أَيْضًا مُرَتَّبَةً : فَرُقْعَةُ الشِّطْرَنْجِ عَلى

ٱلْمِنْضَدَةِ ، وَ قِطَعُ الشِّطْرَنْجِ في صُنْدوقِها ٱلْخَشَبِيِّ بِجانِبِ الرُّقْعَةِ . وَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذٰلِكَ ، فَعادَةً ما يَضَعُ وِلْيَم قِطَعَ الشِّطْرَنْجِ عَلى الرُّقْعَةِ قَبْلَ مَجيئي ، فَهُوَ دائِمًا يَسْتَعِدُّ لِلْمُباراةِ . وَعِنْدَما لاحَظْتُ ذٰلِكَ بَدَأَ ٱلْقَلَقُ يُساوِرُني ؛ وَ أَخَذْتُ أُناديهِ بِاسْمِهِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَكانَتْ لَفْظَةُ وِلْيَم تَرِنُّ وَيَتَرَدَّدُ صَداها في ٱلْمَنْزِلِ ٱلخالي . وَلٰكِنْ ما مِنْ أَحَدٍ يُجيبُ ! فَتَرَكْتُ حُجْرَةَ ٱلْمَعيشَةِ ، وَوَقَفْتُ أَسْفَلَ الدَّرَجِ ، ثُمَّ نادَيْتُ : وِلْيَم ! وَ لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ .

تَحَوَّلَ ٱلْقَلَقُ فَجْأَةً إِلى خَوْفٍ – خَوْفٍ عَلى وِلْيَم ! ما ٱلأَمْرُ ؟ صَعِدْتُ إِلى الطّابَقِ ٱلْعُلْوِيِّ بِسُرْعَةٍ ، وَكُنْتُ أَصْعَدُ ثَلاثَ دَرَجاتٍ في ٱلْمَرَّةِ ٱلواحِدَةِ ، وَذَهَبْتُ مُباشَرَةً إِلى حُجْرَةِ ٱلْمَكْتَبِ ، لَعَلَّهُ ما زالَ يَعْمَلُ هُناكَ وَلَمْ يَسْمَعْني .

طَرَقْتُ بابَ حُجْرَةِ ٱلْمَكْتَبِ وَ ٱنْتَظَرْتُ .. لَمْ يَكُنْ هُناكَ ضَوْءٌ يَتَسَرَّبُ مِنْ أَسْفَلِ ٱلبابِ ، وَلَمْ يُجِبْني أَحَدٌ ، لِذا دَخَلْتُ ٱلْحُجْرَةَ ، وَ أَضَأْتُ ٱلنّورَ . كانَتِ ٱلْحُجْرَةُ غَيْرَ مُرَتَّبَةٍ ، فَالأَوْراقُ تُغَطّي ٱلْمَكْتَبَ وَ ٱلأَرْضَ ، وَلَمْ أَنْظُرْ – في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ – إِلى ٱلأَوْراقِ ، فَلَمْ أَكُنْ مُهْتَمًّا بِها ، فَأَنا أُؤَلِّفُ ٱلْكُتُبَ أَيْضًا ، وَلا أُحِبُّ أَنْ يَطَّلِعَ أَحَدٌ عَلى مُسَوَّداتِ كُتُبي ! لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ – حِينَذاكَ – أَنَّ هٰذِهِ ٱلأَوْراقَ هِيَ مُسَوَّداتُ ٱلكِتابِ ٱلَّذي

قُمْتُ بِمُراجَعَتِهِ ، وَلٰكِنّي اكْتَشَفْتُ ذٰلِكَ – فيما بَعْدُ – عِنْدَما جاءَتِ الشُّرْطَةُ ، وَقَرَأُوا مَخْطُوطَ وِلْيَم أَوَّلًا ، ثُمَّ أَذِنوا لي – بَعْدَ عِدَّةِ أَيّامٍ – بِأَخْذِهِ .

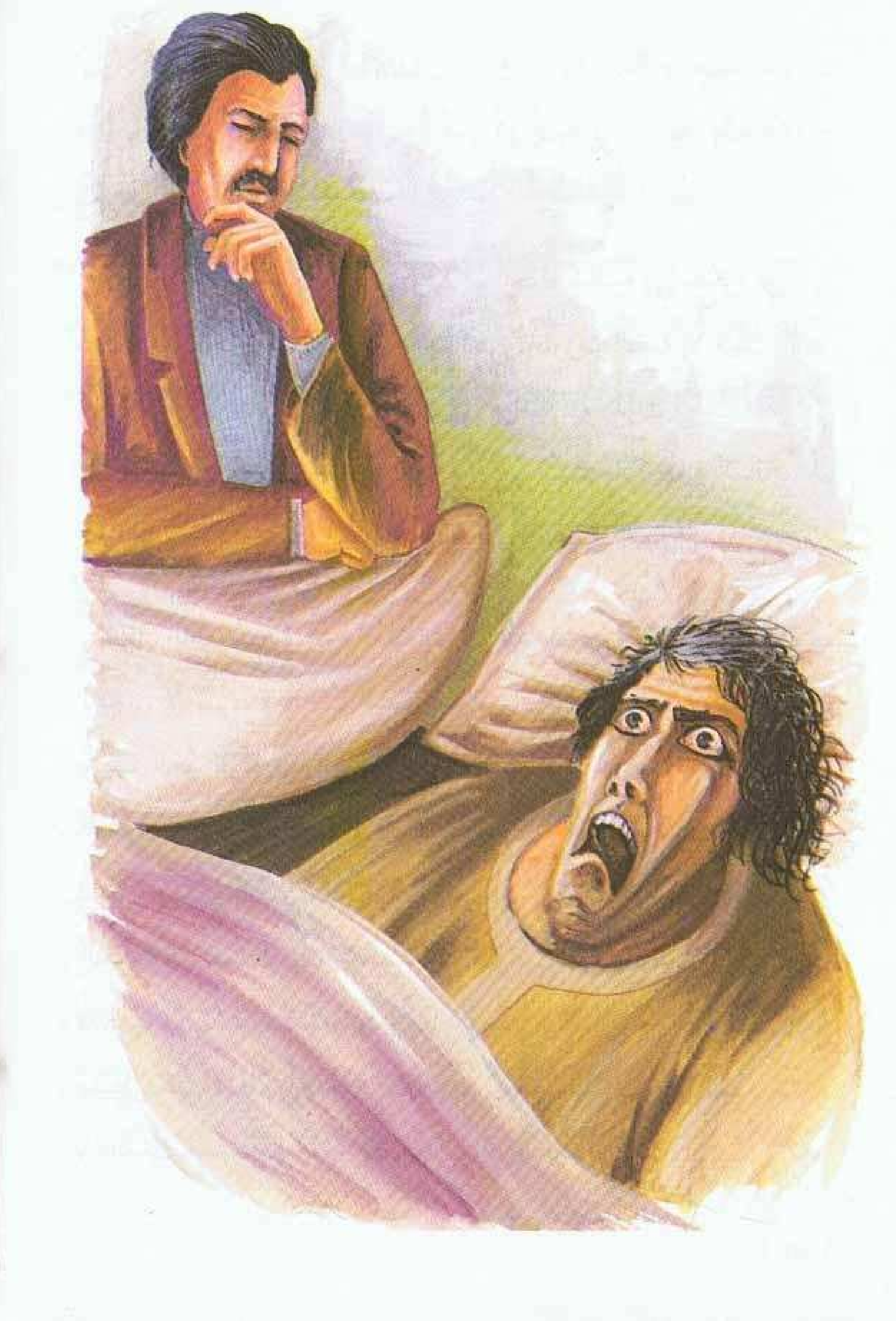
عِنْدَما غادَرْتُ حُجْرَةَ مَكْتَبِ وِلْيَم لَمْ أَذْهَبْ مُباشَرَةً إِلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ .. لِسَبَبٍ بَسيطٍ . لا تَنْسَ أَنَّ السّاعَةَ لَمْ تَكُنْ تَجاوَزَتِ الثّامِنَةَ إِلّا قَليلًا . وَهُوَ وَقْتٌ مُبَكِّرٌ لا يَذْهَبُ فيهِ أَيُّ امْرِئٍ إِلى فِراشِهِ . وَ لِذٰلِكَ رُحْتُ أَتَنَقَّلُ في ٱلبَيْتِ مِنْ حُجْرَةٍ إِلى حُجْرَةٍ أُناديهِ وَ أُكَرِّرُ النِّداءَ وَفي نِهايَةِ ٱلْمَطافِ لَمْ تَبْقَ إِلّا حُجْرَةٌ واحِدَةٌ : حُجْرَةُ النَّوْمِ .. فَاتَّجَهْتُ إِلَيْها .

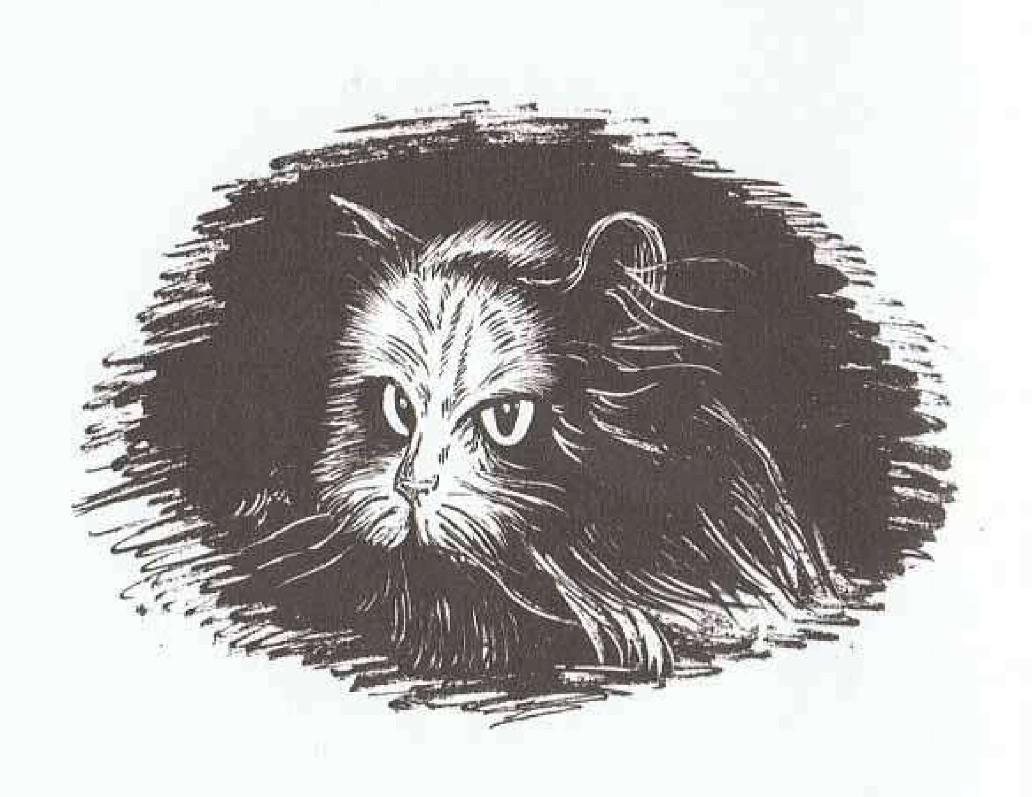
كانَ بابُ حُجْرَةِ النَّوْمِ مُغْلَقًا ، فَطَرَقْتُهُ بِلُطْفٍ وَ ٱنْتَظَرْتُ .. وَطَرَقْتُهُ ثانِيَةً .. لا شَيْءَ ! فَتَحْتُ ٱلبابَ بِهُدوءٍ .. كانَتِ ٱلْحُجْرَةُ مُظْلِمَةً تَمامًا ، وَكانَ ٱلْجَوُّ بارِدًا في ٱلْحُجْرَةِ إِنَّني أَتَذَكَّرُ ٱلآنَ أَنَّ بَعْضَ أَجْزاءِ ٱلْمَنْزِلِ ٱلأُخْرى كانَتْ دافِئَةً .. وَ أَخَذْتُ أَرْتَعِدُ في حُجْرَةِ وِلْيَم ، وَلَمْ أَعْرِفْ لِماذا ، وَلٰكِنَّني أَحْسَسْتُ بِخَوْفٍ غَريبٍ ، كَما لَوْ كانَ هُناكَ شَخْصٌ في ٱلْحُجْرَةِ – كَما لَوْ أَنَّ شَخْصًا كانَ يُراقِبُني (أَوْ لَعَلَّني كُنْتُ أَتَخَيَّلُ ذٰلِكَ) . وَ تَحَسَّسْتُ ٱلْحائِطَ باحِثًا عَنْ مِفْتاحِ الضَّوْءِ ، وَلٰكِنْ كانَ ٱلْفَزَعُ يُسَيْطِرُ عَلَيَّ ؛ فَلَمْ أَجِدْهُ (كانَ قَلْبي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ) ثُمَّ رَكَلْتُ شَيْئًا ، وَ عِنْدَما تَحَسَّسْتُهُ وَجَدْتُهُ مِنْضَدَةَ السَّريرِ ٱلخاصَّةَ بِوِلْيَم .

تَحسَّسْتُ قُرصَ ٱلمِنْضَدةِ حتّى وَجَدْتُ ٱلمِصْباحَ ، وَ ضَغَطْتُ على ٱلمِفْتاحِ ؛ لٰكِنَّهُ لَمْ يُضِيءْ ! و إذا بي أَرْكُلُ شَيْئًا مُلْقًى عَلى ٱلأَرْضِ : كانَ ذٰلِكَ الشَّيْءُ ٱلقابِسَ . جَثَوْتُ على رُكْبَتَيَّ وَ أَمْسَكْتُ بِهِ ، وَ تَساءَلْتُ : « لِماذا لا يَكونُ ٱلقابِسُ في مَوْضِعِهِ بِٱلمَقْبِسِ ؟ »

وَضَعْتُ ٱلقابِسَ في ٱلمَقْبِسِ ؛ فَأَضاءَ ٱلمِصْباحُ ، ثُمَّ نَهَضْتُ واقِفًا ، وَ دُرْتُ بِبَصَري في أَنْحاءِ ٱلحُجْرةِ . لَمْ أُصَدِّقْ عَيْنَيَّ ! كانَتِ ٱلحُجْرةُ في حالةٍ سَيِّئةٍ مِنَ ٱلفَوْضى : نافِذَتانِ مَكْسورَتانِ ، شَظايا مِنَ الزُّجاجِ تُغَطّي ٱلأَرْضَ ، قِطَعُ ٱلمَلابِسِ على ٱلأَرْضِ أَيْضًا - مَلابِسِ وِلْيَم وَفُسْتانِ سَهْرةٍ لِجولي . وَكانَتْ خِزانةُ ٱلمَلابِسِ مُهَشَّمةً تَمامًا ، وَ قِطَعٌ مِنَ ٱلخَشَبِ مُبَعْثَرةٌ على ٱلأَرْضِ . كانَ هُناكَ أَيْضًا قُصاصاتٌ مِنَ ٱلوَرَقِ . اِلْتَقَطْتُ قُصاصةً مِنْها ؛ وَ أَدْرَكْتُ أَنَّها جُزْءٌ مِنَ صورةٍ .. هَبَّتْ ريحٌ بارِدةٌ مِنْ خِلالِ النّافِذةِ ٱلمَكْسورةِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ مُواءَ قِطَّةٍ في ٱلخارِجِ . وَكانَتْ تَبْكي كَأَنَّها طِفْلٌ صَغيرٌ . يا لَلْمِسْكينةِ !

وَدِدْتُ أَنْ أُغادِرَ ٱلحُجْرةَ بِسُرْعةٍ ، وَلٰكِنْ كانَ عَلَيَّ - أَوَّلًا - أَنْ أَجِدَ وِلْيَم . وَكانَ السَّريرُ ٱلمُزْدَوِجُ مُلاصِقًا لِلْحائِطِ ، وَكانَ هُناكَ شَخْصٌ تَحْتَ ٱلأَغْطِيةِ ، وَثَمَّةَ وِسادةٌ عِنْدَ طَرَفِ السَّريرِ ٱلأَعْلى . رَفَعْتُ ٱلوِسادةَ بِهُدوءٍ ، وَكانَتْ تُغَطّي وَجْهَ وِلْيَم تَمامًا . وَ أَدْرَكْتُ في ٱلحالِ أَنَّهُ مَيِّتٌ .





مَلأني وَجْهُ وِلْيَم بِٱلفَزَعِ ، فَقَدْ كانَتْ عَيْناهُ مَفْتوحَتَيْنِ عَلى اتِّساعِهِما ، وَكانَ فَمُهُ أَيْضًا مَفْتوحًا ، وَكانَتْ عَلاماتُ ٱلخَوْفِ وَٱلفَزَعِ مَرْسومَةً عَلى وَجْهِهِ . كانَتْ عَيْناهُ جاحِظَتَيْنِ ناحِيَتي . كانَتا تُحَمْلِقانِ في فَزَعٍ .

وَضَعْتُ ٱلوِسادةَ عَلى وَجْهِ وِلْيَم بِهُدوءٍ ، وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أُغَيِّرَ مِنْ وَضْعِ أَيِّ شَـيْءٍ قَبْلَ حُضورِ الشُّرْطَةِ . وَوَقَفْتُ طَويلًا أَمامَ ٱلجُثَّةِ ، فَقَدْ شَلَّتْني الصَّدْمَةُ عَنِ ٱلحَرَكَةِ تَمامًا ، إِذْ كانَ يَسودُ ٱلحُجْرَةَ جَوٌّ كَئيبٌ ، شِرِّيرٌ لِلْغايَةِ !

وَفي أَثْناءِ وُقوفي هُناكَ لاحَظْتُ شَيْئًا غَريبًا عَلى ٱلوِسادةِ .. كانَتْ تَحْمِلُ بَصَماتٍ واضِحَةً – أَشْبَهَ بِبَصْمَةِ كَفِّ ٱليَدِ ، كَما لَوْ أَنَّ يَدًا كانَتْ تَضْغَطُ ٱلوِسادةَ بِشِدَّةٍ عَلى وَجْهِ وِلْيَم – وَ داوَمَتِ الضَّغْطَ عَلى وَجْهِهِ حَتّى لَفَظَ أَنْفاسَهُ ٱلأَخيرةَ .

المغامرات المثيرة

١ ـ مغامرة في الأدغال
٢ ـ مغامرة في الفضاء
٣ ـ مغامرة أسيرين
٤ ـ مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ ـ مغامرة على الشاطئ
٦ ـ الجاسوس الطائر
٧ ـ لصوص الطريق
٨ ـ حمد الغواص الشجاع
٩ ـ اللصان الغبيان
١٠ ـ مطاردة لصوص السيارات
١١ ـ مغامرات السندباد البحري
١٢ ـ لعبة خطرة
١٣ ـ الخشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤ ـ اللؤلؤة السوداء
١٥ ـ سر الجزيرة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 212